

الأوضاع السياسية والإدارية

في منطقة القنفذة

خلال خمسة قرون

(ق ١٠- ق ١٥ هـ / ق ١٦ – ق ٢١ م) (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب : بلاد القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠ – ق ١٥ هـ / ق ١٦ – ق ٢١ م) (دراسة تاريخية حضارية) ، لغيثان بن جريس، (الطبعة الثانية) (الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٤٣هـ / ٢٠٢٢م)، ص ص ٥٣ - ١٤٥.

القســـم الثانـــي



القسم الثاني : الأوضاع السياسية والإدارية في منطقة القنفذة خلال خمسة قرون (ق ١٠ – ١٥ هـ / ق ١٦ – ٢١م)

أولاً : الأوضاع السياسية والإدارية قبل (ق١٠هـ/ ق١٦م) :

١- تمهيد :

إن عموم جنوب الجزيرة العربية لم يدخل في حوزة الإسلام إلا بعد سقوط قلعة المشركين في مكة المكرمة، ودخول أهالي مدينتي مكة المكرمة والطائف في الإسلام في السنة التاسعة للهجرة، تلا ذلك قدوم وفود كثيرة من جنوب الجزيرة العربية[١]. ومنهم من ذهب إلى عاصمة الدولة الإسلامية قادماً من أرض تهامة مثل : وفود بارق وحكم، والأشعريين، وسعد العشيرة[٢]. وجميعهم كانوا يستوطنون المنطقة الممتدة من القفنذة شمالاً إلى بلاد الموسم وزبيد جنوباً في أرض اليمن، وهؤلاء الوفود مثلهم مثل غيرهم من الوفود الأخرى أعلنوا إسلامهم أمام رسول الله (ﷺ)، ثم عادوا إلى أقوامهم يدعونهم إلى الإسلام، بل أرسل الرسول (ﷺ) معهم أو بعدهم دعاة من صحابته كي يقيموا مع أهالي تلك البلاد يعلمونهم شرائع الإسلام ويفقهونهم في الدين، وكان ممن أرسل (ﷺ) إلى الأجزاء التهامية والسروية أبو موسى الأشعري وعلي بن أبي طالب، ومعاذ بن جبل، وخالد بن الوليد، وأبو سفيان بن حرب وممن يصعب حصرهم في هذا المكان[٣]. ولم ينته عصر الرسول (ﷺ) إلا وجذور الإسلام قد أصبحت راسخة في معظم أجزاء جنوب الجزيرة العربية، وإن كان ظهر بعض المرتدين في تلك النواحي في عهد خلافة الخليفة الراشد الأول، أبي بكر الصديق رضي الله عنه (١١- ١٣هـ / ٦٣١-٦٣٣م)، إلا أنهم سرعان ما تلاشوا وانهزموا أمام عقيدة المسلمين الثابتين على دينهم[٤] وهكذا استمرت جميع أجزاء جنوب الجزيرة العربية تدين بدين الإسلام

(١) للمزيد عن أسماء وأماكن وفود جنوب الجزيرة العربية، انظر: محمد بن سعد : الطبقات الكبرى (بيروت : دار صادر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، ٣٢١/١-٣٥٩ .

(٢) المصدر نفسه، ٣٤٢/١، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٢، عبد الملك بن هشام . السيرة النبوية . تحقيق مصطفى السقا وآخرين (بيروت : دار القلم، د. ت)، ١٨٢/٤، ٢٠٦ وما بعدها .

(٣) هؤلاء نماذج من أسماء الصحابة (رضي الله عنهم أجمعين) الذين أرسلهم الرسول(ﷺ) إلى كل من تهامة والسراة، وأجزاء من بلاد اليمن، للمزيد انظر: أبو الحسن عز الدين علي بن الأثير . أسد الغابة في معرفة الصحابة (القاهرة : دار الشعب، د. ت)، ٣٦٧/٣، ابن سعد، ٣٥٧/١-٣٥٨، غيثان بن علي بن جريس . دراسات في تاريخ تهامة والسراة خلال العصور الإسلامية المبكرة الوسيطة (ق١هـ-ق١٠هـ/ ق٧م-ق١٦م) (الرياض : مطابع العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م)ص٢٣ وما بعدها . (الجزء الأول) .
كما انظر نفصيلات كثيرة عن بلاد تهامة خلال القرون الإسلامية المبكرة والوسيطه في موسوعة (القول المكتوب في تاريخ الجنوب) (٢٣ مجلداً) .

(٤) محمد بن جرير الطبري . تاريخ الأمم والملوك . تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (بيروت : دار سويدان، ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م)، ٢٣٠/٣ وما بعدها . عبد الرحمن بن خلدون . تاريخ ابن خلدون. تحقيق خليل شحادة

خلال عهود الخلفاء الراشدين، وخلفاء بني أمية وبني العباس في العصور الإسلامية القديمة .

وإذا كنا لا نجد كتب التراث الإسلامي المبكرة تحفظ لنا شيئاً على وجه الدقة بخصوص منطقتنا الممتدة من جنوب الليث إلى شمال منطقة جازان(المخلاف السليماني قديماً) ، ـ فإننا ـ من خلال دراستنا لأحوال جنوب الجزيرة العربية بشكل عام ـ نستطيع أن نخرج بآراء واستنتاجات رئيسية تفيدنا في استقراء الأحوال السياسية والإدارية في القنفذة وما حولها من البلاد العربية الجنوبية .

١. إن الإسلام والمسلمين في صدر الإسلام بلغوا رسالة الإسلام إلى عموم سكان الجزيرة العربية، ووصل الإسلام إلى أهالي تهامة جنوب مكة المكرمة حتى عدن مع أولئك الدعاة، الأوائل أمثال : أبي موسى الأشعري وغيره الذين خرجوا من الحجاز عبر مناطق القنفذة وجازان وزبيد وغيرها[١] ، وهذه الرحلة وغيرها من رحلات الدعوة الإسلامية كفيلة بأن تحول الناس في هذه البلاد من عبادة الأوثان وما شابهها إلى عبادة الله وحده . كما أنها أثرت في بعض السكان بهذه البلاد وحملتهم على أن يتركوا أوطانهم الأصلية إلى عواصم العالم الإسلامي في المدينة المنورة ثم دمشق وبغداد من أجل الإسهام في بناء الأمة الإسلامية كالمشاركة في الجهاد وجميع مجالات الحضارة الإسلامية[٢] .

٢. إن جميع مبادئ الشريعة الإسلامية وصلت إلى كل صقع من أصقاع جنوب الجزيرة العربية، وبلاد القنفذة ليست إلا جزءاً صغيراً من هذه الأوطان، التي صارت تأتمر وتنتهي بأمر الرسول (ﷺ) ثم الخلفاء الراشدين وولاة

وآخرين (بيروت : دار الفكر، (١٤٠٠هـ/١٩٨١م)، ٢/٤٩١، ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة، ١/٣٧ ـ ٤٠، للمؤلف نفسه، انظر: دراسات في تاريخ تهامة ...(الرياض : مطابع الحميضي ١٤٣١ ـ ١٤٣٢هـ/٢٠١٠ ـ ٢٠١١م)، ج٢، ص ٣٢ وما بعدها .

(١) من يطالع كتب الطبقات والتراجم فسيجد أسماء صحابة كثيرين أرسلهم الرسول(ﷺ) إلى بلاد تهامة والسراة، وجميع حواضر اليمن الرئيسية، من أجل نشر الإسلام بين سكان تلك البلاد، بل سوف يلاحظ الجهود الجبارة التي بذلوها بهدف تحقيق ما أرسلوا من أجله.

(٢) كان لأهل اليمن، وأهل تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز، دور رائد بإسهامهم في الفتوحات الإسلامية، ثم استقر الكثير منهم في حواضر العالم الإسلامي من أجل العيش والمشاركة في منظومة الحياة بتلك الأمصار . لمزيد من الاطلاع، انظر: غيثان بن علي بن جريس . " دور أهل تهامة والسراة في ميادين الفتوحات الإسلامية المبكرة " . مجلة الدارة، العدد (٤) سنة (٢٠) (رجب وشعبان ورمضان / ١٤١٥هـ)، ٤٠ ـ ٧٠، للمؤلف نفسه . " الهجرات العربية وانتشار الإسلام في بلاد شرق إفريقيا في العصور الوسطى . مجلة المؤرخ العربي . العدد (٣)، مجلد رقم (١) (مارس /١٩٩٥م)، ٦٧ ـ ٨٥ .

الأمر من بعدهم الذين كانوا يُعينون على مكة أمراء يتولون أمرها وما والاها من بلاد تهامة والسراة الممتدة من الحجاز حتى مشارف حواضر اليمن الرئيسية. والمتتبع لوضع الإدارة في هذه البلاد خلال العصر الإسلامي المبكر والوسيط يجد أن والي مكة عادة كان يرسل من ينوب عنه في كل ناحية من نواحي هذه البلاد، وهؤلاء الولاة المرسلون كانوا يذهبون إلى مواطن ولايتهم ومعهم بعض المساعدين كالقضاة، وعمال الحسبة والشرطة والدعاة وغيرهم، كما كانوا أيضاً يستعينون بالأعيان وشيوخ القبائل في كل مكان من أجل حفظ الأمن وضبط البلاد للولاية الرئيسية في مكة المكرمة، التي هي بدورها تستمد أوامرها وقراراتها من بلاط السلطة الإسلامية في المدينة في صدر الإسلام، أو دمشق أو بغداد في عهدي خلفاء بني أمية وبني العباس[١].

وكثيراً ما نجد كتب التراث الإسلامية، وبخاصة مصادر التاريخ المحلي في الحجاز واليمن، تذكر أسماء أمراء، وعمال أسواق وجباة، وقضاة، وربما ولاة للشرطة تم تعيينهم في بعض النواحي والمخاليف المتناثرة في منطقة تهامة الممتدة من مكة المكرمة حتى عدن[٢]. ومن المواقع الهامة في منطقتنا مخلاف حلي بن يعقوب، ومعدن عشم، ومعدن ضنكان، وسوق حباشة في وادي قنونا وغيرها[٣].

---

(١) معظم مصادر التاريخ المحلي لمكة المكرمة مثل: أخبار مكة للأزرقي، وتاريخ مكة للفاكهي، وشفاء الغرام للفاسي، وبعض مؤلفات لمؤرخين من أسرة آل فهد المكية وغيرها حافلة بالأخبار التي تشرح وضع الحياة الإدارية في مكة المكرمة خلال العهد الإسلامي المبكر والوسيط، كما تذكر كثيراً من الروايات عن العلاقات السياسية والإدارية بين مكة المكرمة وما يأتي جنوبها من النواحي (تهامة والسراة) حتى بلاد اليمن، بل تشير إلى أسماء أمراء وقضاة وعمال للشرطة أرسلوا من قبل ولاة مكة إلى تلك المناطق المختلفة. وكانت بلاد القنفذة من أقرب المواطن التي تنالها رعاية الإمارة في مكة عبر تلك العصور.

(٢) المصادر نفسها.

(٣) للاطلاع على معلومات أكثر عن هذه الأماكن، انظر: محمد بن عبد الله الأزرقي. أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار. تحقيق رشدي ملحس (مكة المكرمة: مطابع دار الثقافة، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، ١/٩٤، ١٩١. أبو إسحاق الحربي، كتاب المناسك، وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة. تحقيق حمد الجاسر (الرياض: دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، ١٤٠١هـ/١٩٨١م)، ٤٤٦-٦٤٧، الهمداني، صفة، ٣٤١ وما بعدها، الزيلعي "وادي حلي"، ١١ وما بعدها، حسن الفقيه، مخلاف عشم، ص٢٢ وما بعدها، عبد الله بن حسن الرزقي. سوق حباشة (دراسة تاريخية موجزة) (أبها: مطابع الجنوب، د. ت)، ٤ وما بعدها. انظر أيضاً، حمد الجاسر. "حباشة: أشهر أسواق تهامة قديماً" مجلة العرب، مج (٢٠) (ج/٥-٦ / ذو القعدة وذو الحجة (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م) ص ٢٨٩-٢٩٣.

٣. يبدو من التركيبة السكانية لبلاد تهامة والسراة بشكل عام، وبلاد القنفذة بشكل خاص أن القبيلة كانت صاحبة السيادة في تلك النواحي، فبعض من عشائر كنانة العدنانية وبعض أفخاذ القبائل القحطانية استوطنت القنفذة منذ عصور ما قبل الإسلام، ومازالت حتى اليوم . ومن ثم فشيوخ تلك القبائل هم الآمرون الناهون في أوطانهم، إلى عهد قريب، وإن جاء موظفون من قبل الإمارة في مكة المكرمة أو الخلافة لإدارة بعض النواحي في أوطانهم، فإنهم لا يستطيعون تجاهل أولئك الشيوخ؛ ومن ثم نجدهم أحياناً يقتصرون في ولايتهم على مناطق معينة ومحدودة ويتركون كل ناحية للعشيرة أو القبيلة التي تقطنها . ونجد بعض مصادر التراث الإسلامي المبكرة تشير إلى هيمنة القبائل وشيوخها كل في حدود نطاقه ، فهذا ناصر خسرو في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي) يشير إلى سكان تهامة والسراة جنوبي مكة المكرمة والطائف، ويذكر أن على كل ناحية من تلك النواحي " حاكماً مستبداً لا يخضع لأي سلطة مركزية"[(١)] ، ويقصد بالحاكم هنا، أي الشيخ لكل قبيلة، لأننا نجد ابن المجاور في (القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي) يعطي تفصيلات أفضل من ناصر خسرو حول التركيبة القبلية والإدارية في هذه المناطق، فيقول عنهم : " ويحكم على كل قرية شيخ من مشائخها كبير القدر والسن ذو عقل وفطنة، فإذا حكم بأمر لم يشاركه ولا يخالفه أحد فيما يشير عليهم ويحكم فيهم، وجميع من في هذه الأعمال لم يحكم عليهم سلطان، ولا يؤدون خراجاً ولا يسلمون قطعة، وكل واحد منهم مع هوى نفسه، وبهذا لا يزال القتال دأبهم ويتغلب بعضهم على مال بعض، ويضرب قرابة زيد على أموال عمرو، وهم طوال الدهر على هذا الفن"[(٢)] . ونلاحظ ابن المجاور يعطي معلومات جيدة عن التركيبة الإدارية في هذه البلاد، وكيف كان شيخ القبيلة هو الأقوى في تسيير الأمور بين أفراد قبيلته . وهذا أمر بقي سائداً إلى عهد قريب، لكن بعد ظهور المؤسسات الإدارية الحديثة أصبح الناس يعودون إليها ويأتمرون بأوامرها ونواهيها . لكن قول ابن المجاور " وجميع من في هذه

---

(١) أبو معين الدين ناصر خسرو . سفر نامه (رحلة ناصر خسرو) ترجمة من الفارسية إلى العربية أحمد خالد البدلي (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الملك سعود (الرياض سابقاً) ، ١٩٨٣م) ، ١٤٢ .

(٢) جمال الدين يوسف بن المجاور . صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسمى تاريخ المستبصر. تحقيق لو فغرين (ليدن : مطبعة بريل، ١٩٥١ ـ ١٩٥٤م)، ١/٣٧-٣٨ ،

الأعمـال لا يحكم عليهـم سلطان، ولا يؤدون خراجـاً ... "[١]، فهذا أمرٌ مبالغ فيـه لأنه من يستقري تاريخ وحضارة بلاد تهامة والسراة يجدها أحياناً تدخل تحـت بعض السلطـات الإدارية التي ظهـرت في الحجاز، واليمـن، وربما كان شيوخ بعض القبائل في هذه البلاد هم الذين يبادرون بدخولهم في سلطة بعض الحكومات التي عرفتها العصور الإسلامية الوسيطة، بل كانوا أيضاً يسارعون بدفع ما يقرر عليهم من خراج وما شابه ذلك [٢].

٤. إن كثيراً من كتب التاريـخ والجغرافيا والرحلات تشير إلى الطرق التجارية التهاميـة التي تربط بـين اليمن والحجاز، وتأتي عبر بلاد القنفذة، وتشير إلى بعض المحطات أو أماكن استراحة الحجاج والتجار في كل من ضنكان، وحلي، ويبة، والأحسبة، ودوقة [٣]. وكل هذه المواقع مازالت معروفة حتى اليوم وبخاصة الأماكـن الأربعـة الأخيرة فهي أسماء لأودية كبار تأتـي من جبال السروات ثم تقطع أرض القنفذة حتى تصب في البحر[٤]. ومرور الحجاج والتجار وغيرهم مـن هذا الطريق منذ فجـر الإسلام حتى العهود الإسلاميـة الوسيطة كان ذا أثر علـى سكان البلاد المحيطة بهـذه المحطات، فتجدهم يقابلـون المسافرين فيبتاعـون منهـم ويبيعون لهم العديد مـن البضائع والسلـع التجارية، بل ربما ذهب بعض المقيمين معهم من أجل إرشادهم أو مساعدتهم في حمل تجارتهم، كمـا أنهم كانوا يلتقون ببعض العلماء والأدباء الذين يخرجون من الحجاز إلى اليمن أو العكس. ومن يستقري كتب التاريخ المحلي في الحجاز واليمن يجدها تشتمـل على أسماء ونشاطات لكثير من العلمـاء الذين كانوا يذهبون ويعودون بـين اليمن والحجاز، وكان لبعضهم لقـاءات وحلقات علمية في بعض محطات الطـرق التجارية التهامية، وكان بعض الولاة والأمراء، وبخاصة في مدينة حلي ابـن يعقـوب، يحرصون على استضافـة بعض العلماء والرحالـة الذين يمرون

---

(١) المصدر نفسه.

(٢) ابن جريس، دراسات في تاريخ تهامة، ١/١٩٧ وما بعدها.

(٣) انظر: الهمداني، صفة، ٣٤١ وما بعدها، الحربي، ٦٤٦-٦٤٧، نجم الدين عمارة اليمني. تاريخ اليمن المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد. تحقيق محمد علي الأكوع (بيروت: مطابع دار العلم، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٧٦-٨١، عبد الرحمن بن علي بن محمد الزبيدي ا بن الديبع. قرة العيون بأخبار اليمن الميمون. تحقيق محمد على الأكوع (معلومات النشر بدون)، ١/٣٢٧-٣٣٠، ابن جريس. دراسات في تاريخ تهامة ١/٣٥٦-٣٥٨.

(٤) البلادي، ٦٧، ٩٩، ١٦٦، ١٨٩، الشريف، ٢/٢٥٦-٢٦٤، محمد القرني، ٢١-٢٤.

ببلادهم أثناء ذهابهم وإيابهم بين اليمن والحجاز[(١)].

٥. إن الدارس للتاريخ السياسي والحربي في الجزيرة العربية منذ فجر الإسلام حتى النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) يجد أن القبائل هي عماد قيام الحروب، فلا تقوم سلطة أو دويلة إلا وتراها تسعى إلى كسب ود القبائل المحيطة بها، كي تدعمها بالرجال والعتاد في حروبها، ومن يستطيع جمع أكبر عدد من رجال القبائل بسلاحهم فإنه قد يكسب جولات الحرب على أعدائه، ومتى تخاذلت القبائل عن نصرة من يستنصرها فإنه سرعان ما يسقط ويزول سلطانه. وكثيراً ما لاحظنا ذلك في أثناء الصراعات الأهلية بين بعض أمراء الأشراف في الحجاز، فكان لا يظهر الأمير في إمارته إلا ويخرج له من إخوانه وبني عمومته من يحاربه ويسعى إلى إسقاطه . وكانت المنطقة الممتدة من جنوب مكة المكرمة حتى المخلاف السليماني (منطقة جازان اليوم) من أكثر النواحي التي يرتادها بعض أمراء الأشراف الثائرين على إخوانهم وأهل بيتهم، وكانت قبائل القنفذة وما حولها، ممن انخرطوا في الصراعات السياسية والحربية التي كثيراً ما كانت تحدث بين رجالات الأشراف من أجل الحصول على السلطة [(٢)]. كما لعبوا دوراً أيضاً بالمشاركة مع أو ضد بعض القوى السياسية والحكومات المحلية التي ظهرت في عسير أو المخلاف السليماني، أو في بعض النواحي اليمنية، حيث إن بعض تلك القوى سعوا إلى مد سيطرتهم تجاه الشمال حتى تشمل بلاد القنفذة وربما وصلوا إلى مكة المكرمة [(٣)].

---

(١) الزيلعي، "وادي حلي" ص١٤ وما بعدها، غيثان بن علي بن جريس "ملامح النشاط التجاري لبلاد تهامة والسراة في العصور الوسطى" نشر ضمن منشورات اتحاد المؤرخين بالقاهرة في كتاب بعنوان: طرق التجارة العالمية عبر العالم العربي على مر عصور التاريخ، حصاد (٨) (القاهرة، ١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م)، ١٥٧ وما بعدها، للمؤلف نفسه . دراسات في تاريخ تهامة والسراة، ٣٥٧/١ وما بعدها .

(٢) لمزيد من الاطلاع، انظر: الكتب التاريخية المحلية لبلاد اليمن والحجاز خلال العصور الإسلامية الوسيطة مثل : كتب الفاكهي، والفاسي، وآل فهد في الحجاز. وكتب عمارة اليمني(المفيد ...)، ومؤلفات الخزرجي، وابن أبي حاتم اليامي الهمداني، وابن الديبع وغيرها التي ناقشت تاريخ اليمن . وانظر: محمد أحمد العقيلي. تاريخ المخلاف السليماني. (الرياض : دار اليمامة، ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م) ٧١/١ وما بعدها، أحمد السباعي. تاريخ مكة (مكة المكرمة : نادي مكة الثقافي، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م) (جزءان)، ١٦٣ وما بعدها، أحمد عمر الزيلعي . الأوضاع السياسية والعلاقات الخارجية لمنطقة جازان (المخلاف السليماني) في العصور الإسلامية الوسيطة (الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ٢٥ وما بعدها . ابن عبده، ٣١ .

(٣) المصادر والمراجع نفسها، انظر أيضاً: المحور الثاني من هذا القسم، وبخاصة تاريخ القنفذة في العصر الحديث .

٦. لم تخـل بلاد القنفذة ، أو أجزاء منها، من الذكر في بعض كتب التراث، ومنها مـا ذكر كقوة سياسية لها نفوذ وشـأن، وبخاصة قبل أن تسمى باسم القنفذة، ونخص بذلك (مخلاف حلي) أو (إمارة حلي) التي ظهرت واشتهر نفوذها خـلال العصور الإسلاميـة الوسيطة، ثم سارت نحو التراجـع والاندثار وظهر على إثرها بلدة القنفذة [(١)].

وذكـرت مواطن أخرى مثل الـبرك، ويبة، وقنونا، والأحسبـة ودوقة، لكن هذه النواحـي لم تكـن في ذكرها والإشارة إليها على درجة مـا ورد عن حلي وإمارتها . وهذا مـا سوف نشير إليه في الصفحات التالية بشـكل مختصر قبل البدء في تفصيلاتنا عن تاريخ منطقة القنفذة بعد القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) .

٢- مخلاف حلي (إمارة حلي) :

أ- مدخل :

يقصد بمخـلاف حلي، جزء من وادي حلي الذي تأتي منابعه من أعالي السروات، شمـالي مدينة أبها حتى بلاد بني شهر الحجرية السروية[(٢)]. وهناك ما يعرف باسم (حلـي بن يعقوب)، وهي مدينة حلـي الساحلية، والعاصمة المركزية للوادي، أو المخلاف بشـكل عام[(٣)]. وضمن مدينة حلـي يأتي جزء منها على البحر يعـرف بمرسى أو ميناء حلي[(٤)].

والجـزء السفلـي من وادي حلي، الذي تأتي مدينة أو مرسى حلي في نطاقه يعد من أجـزاء القنفـذة التي نحـن بصدد دراستها، بـل كان هذا الجزء مـن المواطن الإدارية الرئيسيـة في تهامـة قبل ظهـور مدينة القنفـذة . وعندما نعودٍ إلى بدايـات تاريخ هذه الناحيـة (حلـي، أو مخلاف حلـي)، فإننا لا نجد لهـا ذكراً في مصـادر السير وكتب الـتراث الإسلامـي خلال القرنين الأوليين من الإسلام، وإنمـا بدأت بعض كتب التراث الإسلامي تذكرها منذ القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، وبخاصة عندما تشير

(١) المصادر والمراجع نفسها .
(٢) الشريف، ٢٠٨/٢، البلادي، ١٧٦ وما بعدها، الزبيدي، ٣٣، القرني، ٢٢ .
(٣) انظر: الزيلعي "وادي حلي" ١١ وما بعدها، وللمؤلف نفسه . الأوضاع السياسية .."، ١٢٢ .
(٤) المرجعان نفسهما .

إلى محطات الطرق التجارية التهامية التي تربط بين اليمن والحجاز[١]. فهناك من أشار إليها باسم (حلي) أو (مرسى حلي) أو (حلي العليا). وهذا الاختلاف حسب بلاد وادي حلي، فمنها الطريق الساحلي القادم عبر الميناء أو المرسى في حلي، وهناك المتوسط أو العلوي الذي يأتي من أجزاء حلي الداخلية[٢].

وفي القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي نجد بعض المصادر تعطي معلومات أكثر عن الوضع السياسي والإداري في حلي، فالهمداني يشير إلى حلي ويذكر أن رؤساءها هم بنو حرام [٣]، ويأتي ابن حوقل فيذكر أسماء بعض حكام تهامة مثل : أمير حلي (الحرامي) [٤]. لكن المقدسي يورد معلومات أفضل من سابقيه فيقول : " وحلي مدينة ساحلية، عامرة سرية، رفقة " [٥]. وكان هذا الرحالة الجغرافي أول من يشير إلى مدينة حلي على وجه الخصوص بين الجغرافيين المسلمين الأوائل، ثم يليه مجموعة من الجغرافيين الآخرين كالعذري، والبكري، وبدر الدين العيني، فيذكرون تحديد المسافات بالفراسخ بين حلي وما حولها من المدن والمواقع الإسلامية شمالاً وجنوباً[٦]. وكانت مدينة السرين (شمال منطقة القنفذة) [٧]. من أكثر الأماكن التي أشاروا إليها، وذكروا المسافة التي تبعد عنها مدينة حلي في الجنوب[٨]. ثم يأتي

---

(١) ذكر عمارة الحكمي أن حلي كانت تتبع الدولة الزيادية في زبيد خلال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي)، المفيد، ٦٧ وما بعدها .

(٢) انظر في كتب الرحالة والجغرافيين المسلمين الأوائل مثل : عبيد الله بن عبد الله بن خرداذبة . المسالك والممالك، تحقيق دي خويه (ليدن : مطابع بريل، ١٣٠٦هـ/ ١٨٨٩م)، ١٤٨، نبذ من كتاب الخراج لأبي الفراج قدامة (ملحق بكتاب ابن خرداذبة)، ١٩٢، شمس الدين أبو عبد الله محمد المقدسي . أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم . تحقيق . دي خويه (ليدن : مطابع بريل، ١٨٧٦م)، ٨٦، محمد بن عبد الله الإدريسي . نزهة المشتاق في اختراق الآفاق (بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ١/١٤٨، الزيلعي " وادي حلي "، ١١-١٤، ابن جريس، دراسات ١/١٨٠-١٨٨ .

(٣) الهمداني، صفة، ٢٥٩ .

(٤) أبو القاسم النصيبي بن حوقل . صورة الأرض . تحقيق . دي خويه، (ليدن : مطابع بريل، ١٩٦٧م)، ٣٤.

(٥) المقدسي، ٨٦ .

(٦) انظر الزيلعي " وادي حلي " ١٣ - ١٤ .

(٧) لمزيد من التفصيلات عن بلدة السرين انظر: المقدسي، ص ٨٦، الهمداني، صفة، ٢٥٩، ٢٦٨، ٣١٢، ٣٣٤، ٣٤١، أحمد عمر الزيلعي . مكة وعلاقاتها الخارجية (٣٠١-٤٨٧هـ) (الرياض : عمادة شؤون المكتبات بجامعة الرياض، (١٩٨١م) ١٨٤-١٨٦، حسن إبراهيم الفقيه. مدينة السرين الأثرية (الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ٩ وما بعدها .

(٨) عماد الدين إسماعيل أبو الفداء . تقويم البلدان . تحقيق رينود، والبارون ماك كوكين (باريس، م. ن، ١٨٤٠م)، ٩٢-٩٣، الزيلعي، مكة، ١٨٤ - ١٨٥، المؤلف نفسه " وادي حلي "، ١٣-١٤ .

بعض الجغرافيين والرحالة خلال القرنين السادس والسابع الهجريين/ الثاني عشر والثالث عشر الميلاديين فيذكرون عدد المراحل أو الأيام التي يستغرقها المسافر بين حلي والسرين، أو حلي ومكة المكرمة فمنهم من قال خمسة أيام حتى السرين[١] ، وآخرون قالوا ثمانية أيام[٢] حتى مكة المكرمة، وهو الصحيح كما أثبتته بعض الدراسات الحديثة، وبخاصة عندما حولت مسافات الأيام أو المراحل إلى ما يعرف بمسافات اليوم من الأكيال أو الأميال[٣].

وحلي ـ كما أشرنا ـ عرفت منذ وقت مبكر، لكن لا نعرف سبب تسميتها باسم حلي ابن يعقوب، ولا نجد رواية دقيقة تشير إلى تاريخ هذه التسمية، لكن كما رأينا عند الهمداني وابن حوقل الإشارة إلى أن بني حرام كانوا أمراء أو رؤساء حلي. ويعقوب قدم إلى مدينة حلي واستقر بها واشتهر حتى سميت المدينة بعد باسمه فهذا ما لا نعرفه[٤].

لكن من يستقرئ تاريخ الجزيرة العربية في العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة يشاهد ـ كما ذكرنا سابقاً ـ أن شيوخ القبائل كانوا – في الغالب – المهيمنين على أوطانهم، ومن يجد في نفسه القوة أو المنعة فلا يتورع أن يكون سلطة لنفسه ثم يتوارثها أبناؤه وأحفاده من بعده[٥]. وهذا بالفعل ما حصل مع أسرة بني حرام، الذين يطلق عليهم أيضاً (بنو يعقوب) نسبة إلى ذلك الرجل (يعقوب) الذي يذكر أن (حلي) سميت باسمه، واستمرت تسود في أجزاء من بلاد القنفذة الجنوبية (أو الأجزاء السفلية من وادي حلي) حتى القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي)[٦] .

---

(١) الإدريسي، ١٣٨/١، الزيلعي، مكة، ١٨٤ ـ ١٨٥، المؤلف نفسه "وادي حلي"، ١٤ .

(٢) الزيلعي، المرجع نفسه . للمزيد انظر: ياقوت، ٢١٩/٣ .

(٣) الزيلعي، "وادي حلي"، ١٤ .

(٤) هناك بعض الدراسات المتأخرة تنفي أن يكون حلي بن يعقوب منسوباً إلى الأمير يعقوب الكناني، جد الأسرة الحرامية، ويعلل ذلك بأن بلدة حلي بن يعقوب تسبق نشأة الأسرة الحرامية وتوليها إمارة حلي، انظر: عبد الله بلغيث عسيري "حديث آثاري مع حسن الفقيه حول آثار تهامة_" جريدة المدينة" ٤، (١١٨١٧) الأحد (١٧ ربيع الأول ١٤٠٦هـ)، ٧ .

(٥) الهمداني، صفة، ١٢٠، ٢٦٠، ٢٧٤، المقدسي، ١٠٤، ابن المجاور، ٢٦/١ـ٢٧، ابن جريس، دراسات ، ١٧٠/١ وما بعدها .

(٦) للمزيد من التفصيلات عن تاريخ بلاد حلي في العصور الإسلامية الوسيطة، انظر: ديوان ابن هتيمل، ١٥٨، تقي الدين الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق فؤاد سيد (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ١٠١/٤، ١٠٢، الخزرجي، العقود، ٨٥/١، ٤٠٧، أحمد بن علي حجر . إنباء الغُمر بأنباء العُمر . (بيروت : دار الكتب العلمية، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م) ٢٠٢/١ . ٢٧٧/٤، ١١٠/٥، ٢٤٩/٦، عمر بن فهد . إتحاف الورى بأخبار أم القرى . تحقيق . فهيم محمد شلتوت (جدة : م . ن، ت . ن) . ٣٦/٣، ٥٧، ٧٨،

أما التاريخ السياسي والحضاري لمدينة حلي أو للأسرة الحرامية الكنانية، والمعروفة بأسرة بني يعقوب فإننا نجد بعض كتب الرحلات والجغرافيا المتقدمة تشير إلى مدينة حلي عاصمة مخلاف حلي، فيقول العذري (٤٧٨هـ/١٠٨٥م): " مدينة حلي: بها قرى ودساكر، ومسجد جامع وسوق كبير، بناؤها بالخشب والحشيش، وماؤها الآبار والمطر، وزرعهم الذرة والشعير، ولباسهم الرداء والإزار "[١] . والبكري يتعرض لوصف مدينة حلي فيقول: " إنها مدينة ضخمة رملية، بناؤها من الخشب والحشيش، ذات قرى ومساكن ودساكر، وماؤهم من الآبار والعيون "[٢]. أما ابن المجاور فلم يذكر تفصيلات كثيرة عن مدينة حلي وإنما قال: " إنها بلد فيه جامع ومنارة " [٣] . وابن بطوطة زارها وأقام فيها أياماً وكتب عن طبيعة الحياة فيها فقال: " وبعد ستة أيام من خروجنا من جزيرة سواكن، وصلنا إلى مدينة حلي، وتعرف باسم ابن يعقوب، وكان من سلاطين اليمن ساكناً بها قديماً "[٤]. وقال عن المدينة: " إنها كبيرة حسنة العمارة، يسكنها طائفتان من العرب، وهم بنو حرام وبنو كنانة، وجامع هذه المدينة من أحسن الجوامع، وفيها جماعة الفقراء المنقطعين للعبادة "[٥] .

ويتضح من هذه النصوص التي أوردها ابن بطوطة أن مدينة حلي يسكنها بنو حرام وبنو كنانة، ويبدو للقارئ أن بني كنانة غير بني حرام . مع أننا نجد أن بني حرام هم أمراء مخلاف حلي، ومن المحتمل أن أولئك الأمراء من بني كنانة لأننا نجد في نهاية أسمائهم لقب (الكناني)، وإن افترضنا أن بني حرام ليسوا أصلاً من بني كنانة، فربما جاءوا من مواطن أخرى فاستوطنوا " حلي " ثم أثبتوا قدرتهم السياسية والإدارية في البلاد حتى أصبحوا هم سادتها، ومن ثم انتسبوا إلى قبيلة كنانة .

وأحياناً نجد شيوخاً لقبائل عديدة في جزيرة العرب جاؤوا من مواطن أخرى ثم استقروا في مواطنهم الجديدة . وتدرجوا في سلم الحياة الاجتماعية بين سكان البلاد التي قطنوها حتى أصبحوا هم الشيوخ والسادة عليهم[٦] .

٢١٤، ٢٣٠ . ١١٢/٤، ٢٥٢، ٤٦١، ٤٧٤، ابن القاسم ، ٤٣٣/١، ٤٨٥، ٥٦٢/٢، ٥٦٣، ٦٠٦، ٦٠٧، الزيلعي، الأوضاع، ١٢٢ .

(١) انظر: الزيلعي، "وادي حلي"، ١٨ .

(٢) أبو عبد الله البكري . المالك والمسالك . تحقيق عبد الله الغنيم (الكويت : د . م، ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م)، ٤٩ .

(٣) ابن المجاور، ج ١، ٥٣ .

(٤) ابن بطوطة، ٢٧١/١ .

(٥) المصدر نفسه . للمزيد انظر: الزيلعي، "وادي حلي" ، ١٨ .

(٦) شاهدت هذا في أنحاء الجزيرة العربية خلال تجوالي في أرجائها خلال الأربعة العقود الماضية، كما لمست ذلك في كثير من الوثائق التي بحوزتنا، والتي جمعناها من وجهاء وأعيان وشيوخ كثيرين.

أما ميناء أو مرسى حلي فكان معروفاً منذ ظهور مدينة حلي في أوائل العهود الإسلامية، لكن المصادر المبكرة لم تكن تشير إلى أهميته التجارية حتى جاء الإدريسي في القرن السادس الهجري / الثاني عشر الميلادي فقال: إنه "فرضة من جاء من أرض اليمن، وفرضته لمن صعد من القلزم "[١]، كما أشارت المصادر التالية للإدريسي إلى أن ميناء حلي بقي معروفاً ومستخدماً من قبل التجار والحجاج حتى القرنين الثامن والتاسع الهجريين الرابع عشر والخامس عشر الميلاديين[٢]. ولا ندري هل بقي ميناء حلي فاعلاً ونشطاً بعد ظهور ميناء القنفذة واشتهاره[٣]. ولا يستبعد أن ميناء حلي أو غيره من موانئ الساحل كالبرك والقحمة وغيرهما بقيت تؤدي بعض المهام التجارية إلى العصور الحديثة لأننا نجد الرحالة الإنجليزي فيلبي يشير إلى وجود بعض النشاطات التجارية في تلك الموانئ في أثناء مروره بها في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي)[٤].

أما أمراء حلي خلال العصور الإسلامية الوسيطة، فقد كانوا يتوارثون إمارة مخلاف حلي، وربما مدوا نفوذهم إلى خارج حدود منطقة حلي فاتصلوا بقريتي قنونا (القنفذة حالياً) ودوقة في الشمال، أو البرك والقحمة وما حولهما جنوباً. أما الجزء الداخلي من البلاد فلا يستبعد أنه يخضع لشيوخ القبائل المحليين، وربما كان بعض منهم على اتصال بإمارة حلي، وبخاصة في أحوالهم السياسية والإدارية المختلفة. وحكام حلي كانوا يعرفون في بداية ظهورهم وامتداد نفوذهم باسم (الشيوخ) وليسوا أمراء حتى ظهرت الدولة الرسولية في اليمن ومدت نفوذها شمالاً حتى أصبحت مناطق حلي من البلاد التابعة لها[٥]، عندئذٍ صار حكام حلي يلقبون باسم الأمير بدلاً من

---

(١) الإدريسي، ج١، ١٣٨ .

(٢) ابن المجاور، ١/٥٣، ابن بطوطة، ١/٢٧١ .

(٣) من المؤكد أن مدينة حلي بقيت ذا أهمية عند بعض القوى السياسية في اليمن والحجاز، فنجد العديد من المصادر تذكر امتداد نفوذ أشراف مكة إليها، بل كانت أحياناً تتخذ ملجأ ومأوى لبعض الأشراف في مكة وبخاصة عندما تقع بينهم وبين أهل بيتهم صراعات أو حروب أهلية . للمزيد انظر: الخزرجي، ج١، ٤٠٧، ابن حجر، ج١، ١٧١، ج٤، ٢٧٧ . ج٥، ٤٦١ . عز الدين بن فهد . غاية المرام بأخبار البلد الحرام . تحقيق فهيم محمد شلتوت (جدة : مطابع دار المدني، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، ج١، ٥٨٤، ج٢، ٥٧، ١٥٢، ١٨٧، ٢٦٥، ٣٢٥، ٣٤٥، ٤١٣، ٤٤٣ . ج٣، ١٨٥ . عبد الرحمن بن علي بن الديبع . بغية المستفيد في تاريخ مدينة زبيد . تحقيق عبد الله الحبشي (صنعاء : م . ن . د . ت)، ١٠٢، العصامي . سمط النجوم، ٤/٤٥، ٢٤٥، ٢٦٢، ٢٧٨، ٣٣٠، ٤٦٧، ابن القاسم، ١/٤٣٣، ٤٨٥، ٥٦٢، ٦٠٦ .

(٤) فيلبي، ٢/١٢٦٣ وما بعدها .

(٥) لمزيد من التفصيلات عن تاريخ الدولة الرسولية (٦٢٦-٨٥٨هـ/١٢٢٨-١٤٥٤م)، انظر: الأمير بدر الدين

الشيخ، وهذا ما أراده لهم سلاطين بني رسول، وكان ممن تلقب باسم أمير منهم من سوف نذكر على النحو التالي :

ب- الأمير موسى بن علي الحرامي الكناني :[١]

الذي لقبه بالأمير الملك المنصور عمر بن علي الرسولي وذلك في قصة أوردها الخزرجي قال : " وأمر السلطان عمر بن علي الرسولي بعمارة البرك وهو جبل متصل بالبحر فيما بين مكة واليمن، ورتب فيه العساكر الجيدة لمحاربة الأيوبيين، وأرسل الشيخ معيبد بن عبد الله الأشعري إلى الشيخ موسى بن علي الكناني، وكان الشيخ موسى بن علي الكناني ممن يضرب به المثل في الجود والكرم، فلما وصل معيبد رسالة السلطان سمع وأطاع، وقاد إليه خمسين فرساً، فقادها معيبد بأسرها إلى السلطان، وأثنى عليه وقال : صاحب هذه النفس يصلح لمن يجري عليه اسم الأمير، فأجرى عليه اسم الإمارة في ذلك الوقت"[٢].

وبعد أن أجرى السلطان الرسولي لقب الإمارة على حكام حلي تركوا لقبهم الأول وتسموا باللقب الجديد [٣]، على أنه في فترة لاحقة تسمى بعضهم بـ " السلطان " كما حدثنا ابن بطوطة عن سلطان حلي في أثناء زيارته لها في القرن الثامن الهجري (الرابع عشر الميلادي)[٤] .

ج- الأمير فخر الدين أحمد بن علي الحرامي الكناني :

تولى الإمارة بعد أخيه موسى، وقد وقفنا على بعض أخبار هذا الأمير من خلال ما دبجته قريحة شاعر المخلاف القاسم بن علي بن هتيمل [٥] من مدائح في معظم أمراء

محمد بن حاتم اليامي الهمداني . كتاب السمط الغالي الثمن في أخبار الملوك من الغز باليمن . تحقيق ركس سمث (لندن : جامعة كمبرج، د. ت)، ٢٠١ وما بعدها . أسامة أحمد حماد . مظاهر الحضارة الإسلامية في اليمن في العصر الإسلامي (عصر دولتي بني أيوب وبني رسول) (الإسكندرية : مركز الإسكندرية للكتاب، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٤م)، ٤١ وما بعدها، محمد يحيى الفيفي، الدولة الرسولية (دراسة في أوضاعها السياسية والحضارية، ٨٠٣-٨٢٧هـ/ ١٤٠٠-١٤٢٤م) (بيروت : الدار العربية للموسوعات، ١٤٢٥هـ/ ٢٠٠٥م)، ٢٩ وما بعدها .

(١) ابن حاتم اليامي، ٢٠١ .

(٢) الخزرجي، ٨٥/١ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) ابن بطوطة، ٢٧١/١ .

(٥) انظر : ديوان الشاعر ابن هتيمل، ١٥٨ وما بعدها . وللمزيد عن بني حرام الكنانين في حلي، انظر: أحمد

بني حرام الذين عاصرهم وخص منهم هذا الأمير بالذات بمعظم قصائده التي وردت في ديوانه تحت عنوان " الكنانيات "[١]. ومنها تلك التي يقول مطلعها :

بعثت إليك بطيفها المكذوب ... من خوف رؤية كاشح ورقيب
واستمسكت ريح الصبا فتجلببت ... بطراف ريش غرابة الغربيب[٢]

وقال في قصيدة أخرى مطلعها :

أقسمت ما الدنيا وبهجة أهلها ... وجمالها إلا بنو يعقوب[٣]

ومنها قوله :

كرر حديثك مخطئاً ومصيبا ... إن كان عهدك بالديار قريبا[٤]

إلى أن يقول :

يا أحمد بن علي دعوة مخلص ... ناداك من ضمد فقمت مجيبا
أغنيتني وكفيتني في بلدة ... كنت الغريب بها ولستُ غريبا[٥]

د ـ الأمير عيسى بن موسى الكناني :

تسلم أمارة حلي إثر فتنة وقعت وراح ضحيتها الأمير الذي كان قبله، ويعتقد أنه كان والده " موسى " وربما كان هذا الأمير هو الذي عناه ابن هتيمل في البيت القائل:

هموا قتلوا موسى الحرامي فاستوت ... كنانة يعليها معاً وهطوفها[٦]

ويفهم من قصيدة لابن هتيمل يهنئ فيها بني حرام من كنانة بإمارته عليهم، فيقول مطلعها:

عمر الزيلعي " بنوحرام حكام حلي وعلاقاتهم الخارجية " . مجلة كلية الآداب، جامعة الملك سعود م (١٥) ع(١) (١٩٨٨م)، ١٠١ ـ ١٣٩ .

(١) ديوان ابن هتيمل، ١٥٨ وما بعدها .
(٢) المصدر نفسه ، ١٥٨ .
(٣) المصدر نفسه ، ١٥٩ .
(٤) المصدر نفسه ، ١٦١ .
(٥) المصدر نفسه ، ١٦٢ .
(٦) المصدر نفسه ، ٩٢

أعيسى بن موسى...أي كربة حادث — دعيت لها ... ما آذنت بانفراجها
وأي عجاج ما تبلج صبحها — أتتك فلم تطلع صباح انبلاجها [١]

إلى أن يقول :

ليَهن بني يعقوب أنك في الهدى — سراج بني يعقوب وابن سراجها
مَتى خَطبت ألفيت مِدْرَهَ خطبها — وإن تُوِجَتْ أُلفيتَ دُرةَ تاجِها[٢]

هـ. الأمير عامر بن ذؤيب الكناني :

هو الذي بلغتنا بعض أخباره من ابن بطوطة، حيث قال عنه: "هو من الفضلاء والأدباء والشعراء سافرت في حجته من مكة إلى جدة، وكان قد حج في سنة ثلاثين وسبعمائة، ولما قدمت مدينته أنزلني وأكرمني، وأقمت في ضيافته أياماً "[٣].

و. الأمير أحمد بن عيسى الكناني :

تولى إمارة حلي بعد عامر بن ذؤيب إذ نجد العصامي يذكر بني حرام في حلي فيقول : " وكان عجلان في سنة (٧٦٣هـ) حارب أحمد بن عيسى الحرامي صاحب حلي بمكان يقال له : فجره[٤] فظهر عجلان على أحمد بن عيسى المذكور، وكان عجلان شيخاً صالحاً سعيداً اتفق له ما لم يتفق لأسلافه من السعودات، فإنه أول من ملك بلاد حلي من أهله السابقين... "[٥]. وبذلك خضعت حلي لشرافة مكة، وبقيت لأمرائها من بني حرام السلطة المحلية، وإدارة شؤونها الداخلية مع أنها في السابق ربما كانت تتبع سلاطين دولة بني رسول في اليمن[٦].

(١) المصدر نفسه ، ١٦٤ .
(٢) المصدر نفسه ، ١٦٥ .
(٣) ابن بطوطة، ٢٧١/١ .
(٤) والاسم الصحيح : المفجر . انظر: البلادي، ١٧٨ حاشية رقم (٦) . أحمد الفقيه، ٢٥٧ .
(٥) العصامي ٢٤٥/٤، للمزيد عن شخصية أحمد بن عيسى، انظر: ابن حجر، ٢٠٢/١ .
(٦) الخزرجي، ٨٥/١ .

ز- الأمير دريب بن أحمد بن عيسى:

خلف أباه على إمارة حلي في ظل فتنة عظيمة راح هذا الأمير ضحيتها، فقد قتل يوم عرفة من سنة ثلاث وثمان مئة من الهجرة أثناء إمرة الشريف حسن بن عجلان على مكة[١]، وكان بنو كنانة استدعوا الشريف حسناً إلى حلي لفض النزاع الذي نشب بينهم، وبين أميرهم دريب بن أحمد قبل استفحاله، وكان استدعاؤه قبيل مقتل دريب، ولم يصل إليهم الشريف حسن إلا في صفر من سنة أربع وثمان مئة من الهجرة، ويبدو أن الأمور لم تهدأ في حلي، مما اضطر الشريف حسناً إلى بعث سرية إلى حلي على رأسها علي بن كبيش ولكن جماعة من أهل حلي اغتنموا منهم غرة وفتكوا بهم في سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣هـ)[٢].

ح- الأمير موسى بن أحمد بن عيسى: [٣]

تولى الإمارة خلفاً للأمير دريب، بعد أن اتفقت بنو حرام على توليته لمواجهة النزاع الناشب بينهم، وبين أخوالهم من بني كنانة كما ذكر البلادي: " توجه الحراشي إلى حلي، وبنى فيها مكاناً يتحصن فيه أصحاب حسن ومن انضم إليهم .. "[٤] وهذا المكان الحصين الذي ذكره البلادي يبدو أنه هو عينه الذي ذكره الزيلعي باسم: تحصينات خُرَيّان: بضم الخاء المعجمة، وفتح الراء المهملة، وتثقيل الياء المثناة وبعدها ألف وآخر الاسم النون الموحدة، فقد زار الموقع ومسحه مسحاً أثرياً، وحدد موقعه بأنه إلى الشرق من بلدة كياد بحلي، ويبعد عنها حوالي أربعة عشر كيلاً (١٤كم)[٥]. ورجح الزيلعي أحد احتمالين لوجود هذه التحصينات:

١. أن تأسيسها يعود إلى الفترة التي بدأت منذ أواخر القرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، عندما شب النزاع بين الأسرة الحرامية الحاكمة وبين أخوالهم من بني كنانة الذين أخذ أمرهم يستفحل بساحل حلي وأصبحوا منذ تلك الفترة يشكلون خطراً على بني عمومتهم الحراميين، فليس من المستبعد أن يعمد الحراميون إلى بناء موقع حصين خارج مدينة حلي بن يعقوب يلجؤون

---

(١) حسن بن عجلان تولى إمارة مكة عام (٧٧٥-٨٢٩هـ/ ١٣٧٣-١٤٢٥هـ).
(٢) انظر: الفاسي، العقد، ٩٦/٤، ابن حجر، ٤/ ٢٧٧.
(٣) ابن حجر، ٦٨/٦.
(٤) البلادي، ١٨٥، أحمد الفقيه، ٢٥٨.
(٥) الزيلعي " وادي حلي " ٤٠-٤٤.

إليـه عندما تشتد شوكة أعدائهم ويعملون على إخراجهم من مدينة حلي، وقد وجـدوا في هـذه المنطقة الحصينة والبعيدة عن نفوذ بنـي كنانة مكاناً مناسباً لإقامـة هـذه التحصينـات، ويفسر هذا الاعتقـاد وجود هـذه التحصينات في منطقة نفوذ بني حرام ومواليهم حتى العصر الحاضر[١].

٢. إن تأسيس هذه التحصينات يعود إلى مجهودات الشريف حسن بن عجلان أمير مكة في تأمين الحماية لحلفائه بني حرام، ولقواته المرابطة في حلي ضد هجمات الكنانيـين، ويزيد هذا الرأي ما تـورده بعض المصادر من أن الشريف حسن بن عجـلان أمر حاكم جدة / جابـر بن عبد الله الحراشي (ت ٨١٦ /١٤١٣م) أن يعمـل على بناء حصن حصين فيها لكي يتحصن فيـه أصحاب الشريف حسن ومـن انضـم إليهم، وتشـير الروايـات إلى أن الحراشي حفر حـول هذا المكان خندقـاً فليس من المستبعـد أن تكون هذه التحصينات هـي التي قام الحراشي ببنائهـا في الفترة المشـار إليها ...[٢]. وربما الاحتمال الثـاني هو الصحيح لأن بني حرام رتبوا أحوالهم بعد مقتل دريب بن أحمد وجلاء أهله إلى جهة الشرق من حلي وانضموا تحت لواء الأمير موسى بن أحمد في مواجهة أعدائهم[٣].

ويبـدو أن الأمـير موسى بن أحمد الكناني قد نجح في لم شمل بني كنانة ووحدهم ضـد شريف مكـة في محاولة لإخراج قواته من حلي، فلجـأ إلى صاحب اليمن السلطان أحمـد بن إسماعيل الغساني وطلـب منه العون على الشريف حسـن بن عجلان، فكتب الملـك الناصـر رسالة إلى شريـف مكة يطلب منه تـرك التشويش علـى موسى صاحب حلـي[٤]. وقد أيده وحثه علـى الموافقة القاضي شرف الدين إسماعيل بن المقرئ اليمني (٧٥٥ – ٨٣٧هـ/ ١٣٥٤– ١٤٣٣م) بقصيدة مطلعها :

أحسـنـت في تـدبـير مـلـك يـا حسـن ... وأجـدت في تحليـل أخـلاط الفـتن
مـا كنت بالـنـزق العجـول إلى الأذى ... عند النـزاع ولا الضعيف أخـا الوهن
تمسـي ورأيــك عـن هــواك معـوق ... والـغـر مـلـق في يـد الأهـوا الـرسـن[٥]

(١) المرجع نفسه، ٤٣ .
(٢) المرجع نفسه، ٤٤ . انظر أيضاً : أحمد الفقيه، ٢٥٩ .
(٣) انظر : أحمد الفقيه، ٢٦٠ .
(٤) الفاسي، العقد ١٠١/٤، ١٠٢ . وللمزيد انظر: ابن حجر، ٢٧٧/٤، ٦٩/٦، ٧ /٢٤٩ .
(٥) المرجع نفسه ، ١٧٩ .

إلى أن قال :

موسى هزبر لا يطاق نزاله ... في الحرب لكن أين موسى من حسن؟[١]
هذاك في يمن وما سلمت له ... يمن وذا في الشام لم يدع اليمن

ويبدو أن شفاعة الناصر أحمد بن إسماعيل الغساني لقيت قبولاً لدى الشريف حسن فكف عن التشويش على موسى الكناني .

ط ـ الأمير محمد بن موسى بن أحمد الحرامي الكناني :

خلف والده على إمارة حلي ويتضح ذلك مما أورده الفاسي في حوادث سنة (٨٢٢هـ/١٤١٩م) عندما يقول : " وقصد ـ أي حسن بن عجلان ـ صوب اليمن ناحية الخريفين[٢] . وجاوز ذلك، وراسل إلى صاحب حلي محمد بن موسى بن أحمد بن عيسى الحرامي في أن يزوجه أخته ورغب في أن تزف إليه، فأجابوا إلى تزويجها بشرط حضوره إليهم، فأعرض عن الحضور إليهم.. "[٣] .

وفي حوادث سنة (٨٢٣هـ/١٤٢٠م) يذكر الفاسي قوله : " نرى الشريف حسناً يتوجه في صفر إلى حلي وتلقاه صاحبها محمد بن موسى بالأحسبة وبني في حلي بأخت محمد بن موسى الحرامي " [٤] . وأخذ الشريف حسن ينتقل بين مكة وحلي حتى فضل الاستقرار في حلي سنة (٨٢٨هـ / ١٤٢٤م) تاركاً لابنه بركات (٨٠٢ - ٨٥٩ / ١٣٩٩- ١٤٥٤م) الحكم في مكة فقد كان مشاركاً معه في الحكم من سنة (٨١٠هـ / ١٤٠٧م) وفي هذه السنة (٨٢٨هـ/ ١٤٢٤م) ، توجه الشريف حسن إلى مصر للقاء السلطان برسباي (٧٦٦ـ ٨٤١هـ/ ١٣٦٤ـ ١٤٣٧م) فوافته المنية هناك سنة (٨٢٩هـ/ ١٤٢٥م) ، وبوفاة الشريف حسن بن عجلان آل الحكم في مكة لابنه الشريف بركات، قال العصامي: " ومما وقع في زمانه أن أمير اليمن أحمد بن إسماعيل الغساني كتب إليه أن يفرغ له دور مكة، وأن يلقاه إلى حلي "[٥] . فلما وصل المكتوب إلى الشريف بركات بن حسن تصدى للرد على كتاب أحمد بن إسماعيل الغساني، السيد عبد الله بن قاسم الذروي،

---

(١) المصدر والمرجع نفسهما .
(٢) الصواب الخريقين، وهي موقع صغير قرب بلدة الليث . انظر: البلادي، ١٨٥، أحمد الفقيه، ٦٢ .
(٣) الفاسي، العقد، ١٣٤/٤، ابن فهد، إتحاف، ٥٦٣/٣، ٥٧٢ .
(٤) المصدران نفسهما، ابن فهد، غاية، ٣٢٥/٢، البلادي، ١٨٥ .
(٥) العصامي، ٢٧٠/٤ .

فكتب إليه قصيدة طويلة على لسان الشريف بركات بن حسن بن عجلان[١] ومنها :

بالقنا الخطى والبيض الظبا ... وبخيل تتبارى سربا
سابحات مغربات ضمر ... أعوجيات عتاق شزبا

إلى أن يقول :

نحمي البيت ونحمي جدة ... وربا حلي وأكناف قبا
بسيوف جردت من غمد ... كبروق يخترقن الحجبا
قل لمن راد يناوينا ومن ... رام يأتي بيتنا مغتصبا
لا تحج البيت إلا خاضعا ... دافعا عُشراً لنا ثم جبا
وإذا ما حجه ذو عزة ... ترك الأمر وجا مصطحبا
وإذا ما كان رأساً لم يعد ... عندنا يا صاح إلا ذنبا
سورة الفيل لنا كافية ... أترك الجهل وخل الكذبا[٢]

فلما بلغ الغساني هذا الجواب تخلف عن الحج، وأمر من يترصد للذروي في بلاده صبيا، فترصدوا له حتى إذا نزل ساحل جازان، تحيلوا عليه حتى ركب معهم فساروا به إلى الغساني، فحبسه وضيق عليه، فأنشد قصيدة طويلة، ومطلعها :

من لصب هاجه نشر الصبا ... لم يزده البين إلا طربا
وأسيرٍ كلما لاح له ... بارق القبلة من صبيا صبا

إلى أن قال :

إن ظننت الدهر يوماً واحدا ... فلقد حاولت أمراً كذبا
رب صدع كان أعيا شعبه ... أدركته رقة فانشعبا[٣]

فلما بلغ الشريف بركات أمر الذروي أمر بفدائه ثم أطلق الذروي غير أن المصدر لا ينص صراحة على قبول الفداء، وذكر أن أحمد الغساني أقسم ألا يخرجه من الحبس حتى ينشعب هذا الصدع وأشار إلى صدع في الصخر، وأن الذروي بعد أن أنشأ قصيدته

(١) المصدر نفسه، ٢٧٣/٤، البلادي، ١٨٠ .
(٢) العصامي ، ٢٧٤/٤ .
(٣) المصدر نفسه ، البلادي ، ١٨٢ .

التي مرت معنا أرسل الله المطر فأصبح الصدع وقد انشعب! فأطلقه وأحسن إليه، ونلمح من قصيدة الذروي بيتاً وكأنه يعرض بهذا الخبر إذ يقول :

رب صـدع كـان أعـيا شعبه أدركتـه رقـة فانشـعبا[١]

وفي أواخـر أيـام الشريـف بـركات انتفض وثـار عـدد مـن ولايـات الحجـاز، وبوفاتـه سنـة (٨٥٩هـ/ ١٤٥٤م) تـولى الإمـارة ابنـه الشريـف محمـد بـن بركات (٨٤٠ -٩٠٣هـ/١٤٣٧- ١٤٩٧م) وتصدى لتلك الثورات والحركات الانفصالية ومنها حركة بني حرام في حلي، وقمعها بقوة . قال العصامي معدداً حروبه، ومن فتك بهم من الخارجين عليه إلى أن قال: " وكأهل جازان لما وقع منهم من عصيان، فقتلهم واستبى وملك بلادهم واجتبى، وكقتل أهل حلي والعبيد، وتشريدهم كل تشريد، وإخراجهم من البلاد والقبض على أميرهم الحرامي وجعله مع أهل الجرائم والعناد "[٢].

وعبـارة العصامي توضح أن أمراء حلي كانوا يتوقـون للاستقلال بإمارتهم فكانوا يحاولـون من وقـت لآخر الخروج على التبعيـة لشرافة مكة . قـال العصامي وهو يشير إلى توليـة الشريـف حسـن بن أبي نمـي الثـاني (٩٣٢- ١٠١٠هـ/١٥٢٥- ١٦٠١م)،: " فتقلـد حماية الحرمـين الشريفين، وجـدة المعمورة، وينبع، وخيـبر، وحلي وجميع ما شملهم اسم الأقطار الحجازية، وذلك من خيبر إلى أطراف أعمال جازان، ومن أعمال ينبـع المبـارك إلى حجاز ثقيف ومـا اتصل به مـن أرض نجد عرضـاً، وكان ذلك سنة ٩٦١هـ/١٤٥٦م) "[٣]. ويبـدو أن سلطة بني حرام انقادت للأشـراف في الغالب منذ أن فتـح عجلان "حلـي" كما أشرنـا سابقـاً، وإن كان الحراميون يحاولـون الخروج ، عن سيطـرة الاشـراف ، من وقت لآخـر . كما بدأت مدينة القنفـذة في الظهور بعد أن أخذ ميناؤهـا يمتص حركة الملاحـة البحرية التي كان يستأثر بهـا مرسى حلي، وقد أخذت سلطة أمراء بني حرام من كنانة تتراجع بعد أن اعترى إمارتهم الضعف[٤] .

---

(١) البلادي ، ١٨٠ ـ ١٨٣ ، أحمد الفقيه ، ٢٦٥ .

(٢) العصامي، ٢٧٨/٤ .

(٣) المصدر نفسه ٣٣٠/٤ .

(٤) بقيـت حلي تلعب دوراً سياسياً وحضارياً في تهامة خـلال القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي ومـا تـلاه . فتذكر العديد من المصادر بعض أمراء حلي الذين كانـوا يقيمون في بلادهم حتى القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي، وكانوا على صلات ببعض القوى السياسية في الجزيرة العربية وبخاصة في اليمـن والحجـاز . لكن القول الثابت أن بلـدة القنفذة بدأت تشتهر منذ القـرن العاشر ووصلت إلى أوج مجدهـا السياسـي والحضاري في القرنين الثالث عشـر والرابع عشر الهجريـين (التاسع عشر والعشرين

٣- مواطن أخرى في بلاد القنفذة :

أ- البرك وما حولها :

تأتي ديار البرك إلى الجنوب من وادي حلي، وأمراء حلي، - كما مر معنا - كانوا ذوي سلطة واسعة في تهامة، فقد وصل نفوذ بعضهم إلى بلاد البرك جنوباً وإلى ديار واديي الأحسبة ودوقة شمالاً [١] . والبرك وردت عند مؤلفي كتب التراث الأوائل، فكتب السير تشير إليها في عهد الرسول (ﷺ) باسم البرك، وأحياناً باسم (برك الغماد). فهذا عثمان بن مظعون (رضي الله عنه) يقول شعراً عندما هاجر إلى الحبشة ويورد اسم (البرك) قائلاً :

أتيم بن عمرو الذي جاء بغضه ... ومن دونه الشرحان والبرك أكتع [٢]

كما ذكرت بعض كتب السير اسم البرك عندما خرج إليها أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) راغباً في الفرار من المشركين والهجرة بدينه إلى أرض الحبشة، وعند وصوله إلى أرض البرك قابله ابن الدغنة وسأله عما يتطلع إليه، فقال ابن الدغنة: " فإن مثلك يا أبا بكر لا يخرج ولا يخرج مثله .. " [٣]. ثم أجاره وعاد به إلى مكة [٤].

فالثابت أن البرك كانت من الموانئ المستخدمة منذ العصر الجاهلي وخلال العصور الإسلامية المختلفة . وبعض كتب السير تشير إلى الحديث الذي جرى بين الرسول (ﷺ) والصحابة (رضوان الله عليهم) أيام غزوة بدر، وكان الرسول (ﷺ) يريد أن يعرف رأي الأنصار في حرب المشركين فقام إليه كل من سعد بن معاذ والمقداد بن عمرو وأخبراه أنهما وجميع الأنصار سوف يجاهدون مع الرسول (ﷺ) في

الميلاديين) . للمزيد انظر: الخزرجي، ١/٤٠٧ ابن فهد، إتحاف، ٣/٣٦، ٧٨، ٢١٥، ٢٣٠، ٢٤٥، ٢٩٤، ج٤، ١١٢، ٢١٤، ٢٥٢ . ابن فهد، غاية، ٢ /٨٣، ١٥٢، ٣٢٥، ٣٢٩، ٤١٣، ٤٤٣، . العصامي، ٤/٤٥، ٢٤٥، ٢٦٢، ٤٣٧ . ابن القاسم، ١/٤٨٥، ٥٣٧، ٦٠٦، البلادي، ١٧٤، ١٨٧، حسن الفقيه، ٣٩ وما بعدها .

(١) ابن حاتم اليامي، ١٠٢، ١٠٣ . للمزيد انظر: ديوان ابن هتيمل، ١٥٨، ١٦٤، البلادي، ٢١٧ وما بعدها .

(٢) البلادي ، ٢١٨ ، ابن عبده ، ٢٦ . للمزيد: انظر : ديوان ابن هتيمل ، ١٥٨، ١٦٤ ، البلادي ، ٢١٧ وما بعدها.

(٣) عبد الله عبد العزيز البكري . معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع. تحقيق مصطفى السقا (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م) ، ع١، ج١، ٢٤٤، للمزيد انظر: أحمد عمر الزيلعي " مع الشاعر أبي دهبل الجمحي في ميميته بين مكة والبرك " دراسات في تاريخ الجزيرة العربية في العصر الأموي . الكتاب الرابع (جامعة الملك سعود : مطابع الجامعة ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ٥٠١ .

(٤) المصدر والمرجع نفسهما .

أي مكان، ثم قال:المقداد " لو اعترضت بنا البحر لخضناه ولو قصدت بنا برك الغماد لقصدناه "[١]. وفي حديث آخر عن أبي الدرداء قال : " لو أعيتني آية من كتاب الله فلم أجد أحداً يفتحها علي إلا رجل ببرك الغماد لرحلت إليه "[٢]. وهذه الرواية والتي قبلها تدل على مثل البعد يوم أن كانت وسائل المواصلات المشي على الأقدام أو ركوباً على الدواب . وعرب وسط وشمال وغرب الجزيرة العربية يضربون أمثالاً في البعد ببعض النواحي في جنوب الجزيرة العربية كعدن، وصنعاء وغيرها، ومنه الحديث" اتق الله ولو كنت في ضمد وجازان " [٣]. وهذان المكانان إلى الجنوب من بلاد البرك، ونجد أن أبا بكر بن دريد العالم اللغوي والشاعر يقول:

لست ابن عم القاطنين ولا ابن أُمّ للبلاد
فاجعل مقامك أو مقر ك جانبي بِرْكِ الغماد
وانظر إلى الشمس التي طلعت علَى إرم وعاد
هل تؤنسنّ بقية من حاضر منهم وباد[٤]

وبعض كتب الجغرافيا والأدب والتاريخ أشارت إلى بلاد البرك وأهلها وبعض المواقع الهامة فيها فيذكر الهمداني من الآثار العظيمة عندما عدد هذه الآثار فقال: " وبينون ......، وبرك الغماد، وإرم ذات العماد "[٥]. ولاندري ما هو السبب عند الهمداني في اعتبار برك الغماد من الآثار العظيمة، مع العلم أنه لا يوجد بها معالم أثرية عظيمة ولو كانت لا تخلو اليوم من بعض النقوش والآثار التي يعود أقدمها إلى القرنين الثالث والرابع الميلاديين[٦]. كما أورد الشاعر أبو دهبل الجمحي وادي البرك في قصيدته الميمية المشهورة التي يصف فيها ناقته فيقول :

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصات المنادي للصلاة وأعتما[٧]

(١) ابن هشام، ٢٦٦/٢، انظر أيضاً : الهمداني، صفة، ٣٠٦، البلادي، ٢١٧، الزيلعي " مع الشاعر أبي دهبل " ، ٥٠١ .
(٢) ياقوت، ٤٠٠/١، البلادي، ٢١٩، ابن عبده، ٢٩ .
(٣) البلادي، ٢١٩ .
(٤) ياقوت ، ٤٠٠/١ .
(٥) الهمداني، صفة، ٧ .
(٦) سعيد بن فائز السعيد " نقوش عربية جنوبية قديمة من البرك " بحث منشور في مجلة الدارة . عدد (٤) سنة (٢٢) شوال (١٤١٧هـ)، وقد نشر في كتاب ابن عبده . من تاريخ برك الغماد ، ص ١٨٤ - ٢١٣ .
(٧) علي بن الحسين (أبو الفرج الأصبهاني) . كتاب الأغاني (مصور عن طبعة دار الكتب بالقاهرة)، (د. ت) ، ١٤٠/٧-١٤١ .

ثم أشار إلى أسماء المواطن والقرى في طريقه نحو اليمن إلى أن قال:

فقلت لها قد بنت غير ذميمة   وأصبح وادي البرك غيثاً مديما[(١)]

ويعلق البلادي على هذا البيت بأن برك الغماد ليس وادياً[(٢)]، وهذا غير صحيح بل إن بالبرك أودية عديدة ذكرتها إحدى الدراسات الحديثة وأشارت إلى ثلاثة عشر وادياً ومنها وادي البرك، ووادي ضنكان وغيرهما [(٣)]، لكن أعظم أودية البرك هو وادي ذهبان الذي يقع إلى الجنوب من بلدة البرك اليوم بحوالي (١٥كم) وهو الذي تصب فيه أغلب أودية منطقة البرك حتى يصب في البحر[(٤)] .

ويورد ياقوت اسم البرك في بيت من الرجز، فيقول :

جاريةٌ من أشعرٍ أو عَكِّ   بين غمادي نبةٍ وبرك[(٥)]

ويشير البلادي بأن المقصود بكلمة (نبة) هي (يبة)[(٦)]، وأتفق مع هذا الرأي، لأن وادي يبة يأتي إلى الشمال من بلاد البرك وحلي، وهو من الأودية الرئيسية في بلاد القنفذة [(٧)] .

ويذكر ياقوت معلومات عن سطح بلاد البرك فيقول : " والبرك حجارة مثل حجارة الحرة، خشنة يصعب السلك عليها " [(٨)]. وبالفعل تقع مدينة البرك على حجارة حرة[(٩)]، وتوضح بعض الدراسات الجغرافية الحديثة أن حرة البرك تمتد ما بين حلي شمالاً والشقيق جنوباً في منطقة جازان، ثم إن تلك الصخور البركانية في حرة البرك كانت قد تشكلت خلال الزمنين الثالث والرابع بعد تصدع أرض الدرع العربي[(١٠)].

---

(١) المصدر نفسه . للمزيد عن أبي دهبل الجمحي ، انظر: الزيلعي " مع الشاعر أبي دهبل الجمحي " ، ٤٨٩ـ٥٠٩ .
(٢) البلادي، ٢١٩ .
(٣) ابن عبده، ١٦ـ١٩ .
(٤) المرجع نفسه .
(٥) ياقوت ، ٤٠٠/١ .
(٦) البلادي، ٢١٩ .
(٧) للمزيد عن أودية القنفذة الرئيسية، انظر: الشريف، ٢٥٥/٢ـ٢٦٢ .
(٨) ياقوت، معجم، ٤٠٠/١ .
(٩) البلادي، ٢٢٠ .
(١٠) الشريف، ج١، ٤٢، ابن عبده، ٢٠ .

وهنـاك بعض المصادر تشير إلى سكان البرك، وإلى معدن ضنكان الذي يقع في وادي ذهبان . فتذكر أن معظم سكان حرة البرك هم من قبيلة بني هلال [١] ، ويتعرض الهمداني إلى حرة كنانة التي بلاد البرك جزء منها فيقول : " وضنكان والبرك والمعقد وحرة كنانة "[٢] ، وفي مكان آخر قال : " ووادي أتمة وضنكان وهو معروف، والحرة حرة كنانـة " [٣] . وتذكر إحدى الدراسات الحديثة إلى أن قبيلة بني هلال متوسطة الحجم تضـرب قوساً حول البرك وتشمل مساكنهـا معظم حرة بني كنانة، حيث تمتد من عمق إلى ذهبان بمسافة تقارب الخمسين كيلومتراً، وإلى الداخل قرابة ستين كيلومتراً، وهي معظـم منطقـة البرك في يومنا الحالي[٤] ، ثم ترجح هـذه الدراسة إلى أن هذه القبيلة تعد فرعـاً من قبيلة كنانة المشهورة التي استوطنت معظـم الساحل[٥] ، واعتمد صاحب الدراسـة في قولـه على أقوال الهمـداني الذي وصف جزيـرة العرب وذكر مـن آثارها الـبرك، ثم ذكـر حرة كنانة، وأتمة، وضنـكان، وهي جميعها اليوم مـن ديار بني هلال بالـبرك، بل أشار إلى أنها بلد بني حرام مـن كنانة[٦] . ويقصد بذلك بني حرام الذين أسسوا لهم إمارة في حلي كما مر معنا .

وهنـاك بعض الدراسات الحديثـة قالت إن بني هلال سـكان منطقة البرك اليوم هـم من بكر بن خصفـة بن قيس عيلان بن مضر، ومن ثم فهـم بطن من قبيلة هوازن وليس كنانة [٧] . واعتمدت هذه الدارسات على بعض الروايات في المصادر المبكرة التي تعرضـت للحديـث عن حرة بني هلال بالـبرك وأشارت إلى أن نسبهـم يعود إلى قبائل عامـر بن صعصعة الهوازنيـة[٨] . وابن الكلبي في أوائل القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي يذكر تفرق قبائل مضر فيقول: " ظعنت قيس من تهامة طالعين إلى بلاد نجد إلا قبائـل منهـم، فانحازت إلى أطـراف الغور من تهامة فنزلت هـوازن بن منصور بن عكرمـة بـن خصفة بن قيس ما بين غور تهامة إلى مـا والى بيشة وبركاً وناحية السراة

(١) الهمداني، صفة، ٣٠٦، ابن عبده، ٣٩ ـ ٥٤ .
(٢) الهمداني، صفة، ١١٨، ٣٤١ .
(٣) الهمداني، صفة، ٢٥٩ .
(٤) البلادي، ٢٢٢ .
(٥) المرجع نفسه .
(٦) الهمداني، صفة، ١١٨، ٢٥٩ .
(٧) ابن عبده، ٤٢ ـ ٥٤ .
(٨) ابـن عبـده، ٥٠ ـ ٥٣ . للمزيـد انظر : هشام بن محمد السائب بن الكلبـي . جمهرة النسب . تحقيق . ناجي حسن (بيروت : عالم الكتب، ١٤٠٧هـ/١٩٨٦م)، ٣٦٧ ـ ٣٦٨، ياقوت، ٢/ ٢٥٠.

والطائف وذا الحجاز والمجاز وحنين وأوطاس وما صاقبها من البلاد" [١]، وذكر البكري بنـي عامر عندما أشـار إلى البرك، أو برك الغماد، فقـال: " إن البرك من أوطان بني عامـر بـن صعصعه، وبنو هلال بطن من بني عامر بـن صعصعة " [٢] كما أشار إلى أن " حـرة بني هلال بـن عامر بالبرك والبريك بطريق تهامة مـن دون ضنكان، وضنكان قرية" [٣]، وقال البكري أيضاً: " البريك مصغراً لبني هلال ابن عامر" [٤] ويأتي ياقوت في القـرن السابع الهجري / الثالث عشر الميلادي، يذكر حرة بني هلال بنواحي البرك فيقـول : " حرة بني هلال : هو هلال بن عامر بن صعصعة بالبريك، والبريك في طريق اليمـن التهامـي ودون ضنكان" [٥]. وفي تحديـد البرك قال " برك بـوزن قِرّد، وهو بين ذهبان وحلي، وهو نصف الطريق بين حلي ومكة" [٦] . وقوله إن البرك بين ذَهبانٍ وحلي فهـذا صحيح، إلا أنـه إلى ذهبان أقرب من حلي، فالأول يبعـد عن البرك جنوباً (١٥) كيلومـتراً، والثاني شمالاً بحوالي (٦٠) كيلومتراً. فقط، أما مكة فهي تبعد إلى الشمال من البرك بحوالي (٤٦٠) كيلومتراً [٧].

وبعد الآراء السابقة الذكر فلا يستبعد أن بني هلال الموجودين في البرك من أصول قبائل هوازن وليسوا من كنانة، لأن القبائل العربية قديماً كانت تسيح في الأرض ويخرج منهـا فروع تنزل مواطـن جديدة وتحافظ على اسم قبيلتهـا الأم، وأحياناً تدخل ضمن قبيلـة أخرى فتتسمـى باسمها كي تنال رعايتها وحمايتها . والغريـب أننا لازلنا نشاهد اسـم قبيلة بني هلال سائداً ومعروفاً عند عموم سكان منطقة البرك وما حولها، مع أن السـواد الأعظم من سـكان الساحل من مكة حتى جازان هم من قبائل كنانة العدنانية، لكنهـم أيضاً قـد خالطوا بعض العشائر والبطـون العربية الأخـرى، كالأزد وغيرهم، وهـذه القبيلة الهلالية ربما تكون من تلك القبائـل الأخرى المخالطة لكنانة في مواطنها الساحلية [٨] .

---

(١) انظر : ابن عبده، ٥٢ .
(٢) البكري، معجم، مج١، ج١، ٢٤٤ ـ ٤٣٧ .
(٣) المصدر نفسه، ٤٣٧ .
(٤) المصدر نفسه، ٢٤٤ .
(٥) ياقوت، ٢٥٠/٢ .
(٦) المصدر نفسه، ٤٠٠/١ .
(٧) مشاهدات الباحث وجولاته في بلاد الساحل الممتدة من مكة إلى جازان عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م).
(٨) مشاهدات الباحث وجولاته عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) .

وفي الناحية الجنوبية الشرقية من بلدة البرك بحوالي (١٥كم) تقريباً يأتي وادي ذهبان الذي يفترق في أعلاه إلى قسمين كل منها يعد وادياً، أحدهما (ضنكان). وله ذكر في كتب التراث على أنه مخلاف، ويقصد بكلمة (مخلاف) أي ناحية أو إقليم، وربما قصد بذلك قرية . فابن خرداذبة، والمقدسي، والبكري أشاروا إلى أنه واحد من مخاليف تهامة[١] . وأشار اليعقوبي في وصف الطريق من اليمن حتى مكة إلى عدد من المحطات التجارية وكان منها ضنكان [٢]، كما قال الهمداني في وصف محجة صنعاء إلى مكة: طريق تهامة " ثم عثر، ثم بيض، ثم ضنكان، ثم زنيف، ثم المعقد، ثم حلي "[٣]، ويقول أيضاً: " ضنكان وهو معدن غزير ولا بأس بتبره "[٤]، وشهرته جاءت من كونة معدن ذهب، وقال عنه الهمداني: " بلد حرام من كنانة: وادي أتمة، وضنكان، وهو معدن غزير .. والحرة حرة كنانة، والمعقد، وحلي، وهو مخلاف "[٥]، ويذكر ياقوت ضنكان وادياً فقال : " وبأسفل **السروات** أودية تصب إلى البحر منها الليث وقنونا، والأحسبة، **وضنكان**، وعشم .. "[٦] . أما الإدريسي من أهل القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي فيذكر ضنكان على أنها من مخاليف مكة، وسماها أيضاً بـ (الحصن، وجمعه حصون) ، فقال : " لمكة مخاليف وهي الحصون، ومن حصونها تهامة، وضنكان، والسرين، وعشم .. "[٧] . ويفهم من كلام الإدريسي أن المخلاف هو الحصن، والاسمان يعنيان الناحية، أو القرية، أو الإقليم .

وفي اعتقادنا أن المخلاف أو المخاليف تختلف من واحد للآخر حسب المساحة الجغرافية، والقوى السياسية والإدارية التي تحكم كل مخلاف . فلو قارنا مخلاف ضنكان مع مخلاف حلي، الذي سبق الإشارة إليه، نجد الاختلاف واضحاً فمخلاف ضنكان لم يكن كبيراً في مساحته وطاقته البشرية، بقدر ما هو معدن غزير للذهب

---

(١) ابن خرداذبة، ١٣٣، ١٤٨، المقدسي، ٨٨، ٨٩، البكري، مج٢، ج٣، ٨٨٢ .

(٢) أحمد بن أبي يعقوب اليعقوبي . كتاب البلدان . تحقيق دي خويه (ليدن : مطابع بريل، ١٨٩١م) ٣١٧، وللمزيد عن بعض المصادر التي أشارت إلى محطات الطريق الساحلي بين اليمن والحجاز، انظر : الهمداني، ٣٣٩ ـ ٣٤١، الحربي، ٦٤٦، الإدريسي، ١/١٤٥ ـ ١٤٩، ابن جريس، دراسات، ١/١٨٠ ـ ١٨٨، ٣٥٧، للمؤلف نفسه "..النشاط التجاري .." ١٥٧، وما بعدها .

(٣) الهمداني، ٣٤١ .

(٤) المصدر نفسه، ٢٥٩ .

(٥) المصدر نفسه .

(٦) ياقوت، ٣/٤٦٤ .

(٧) الإدريسي، ١/١٤٥ .

يقوم على حراسته والعمل به مجموعة من الناس، بالإضافة إلى بعض السكان المحليين الذين يعيشون إلى جانبه . أما مخلاف حلي فقد عرفنا أنه ظهر به إمارة وقوة سياسية سيطـرت علـى منطقـة واسعة ربما شملـت عموم منطقـة القنفذة اليوم، مـع العلم أن عاصمة تلك الإمارة، كما رأينا، كانت في بلدة حلي بن يعقوب وهي إلى الشمال من بلدة البرك . وضنكان فيما يبدو كان معروفاً حتى عصر الهمداني في القرن الرابع الهجري / العاشـر الميـلادي لأننا وجدناه يصف نوعية معدنه فيقـول : " ويأتي رطله بعيار مائة دينـار وديناراً ونصف "[١] .ثم يقارن بين معدنه ومعدن عشم [٢] . فيذكر أنه أقل منه في الجودة، إلا أنه ربما كان أغزر في الإنتاج، ثم يقول عن هذا المعدن " ضنكان " وقد عثر فيه في عصرنا ـ يقصد عصر الهمداني ـ على شيء خد عليه السيل، فغنم منه السلطان والرعيـة"[٣] . وهذا مما يدل على أن ذهب ضنكان كان من النوعية الجيدة . وفي القرن الخامـس الهجـري / الحـادي عشر الميلادي لا نجـد ذكراً واضحـاً لاستمرارية معدن ضنـكان، وإن كان ورد عنـد الإدريسي وياقوت على أن ضنـكان ضمن محطات الطريق التهامية بين اليمن ومكة المكرمة [٤] .

أمـا التاريـخ السياسـي لمنطقة الـبرك خلال القـرون الإسلاميـة الأولى فلا نجد روايـات واضحة وصريحـة تذكر لنا الأحداث السياسية التـي وقعت في بلاد البرك وما جاورهـا مـن الأجزاء التهامية، وإنما الظاهر لنا في كتـب التاريخ العامة أن عموم بلاد تهامـة من مكـة المكرمة إلى اليمن [٥] ، كانت على ولائها للخلافـة الأموية ثم العباسية، بالرغـم من استقلالها داخلياً على يد مشائـخ القبائل المحليين الذين يتوارثون السلطة علـى قبائلهم . مع أننا نجد إشارات قليلة جداً تشـير إلى بعض الولاة الذين تولوا لبني العباس علـى منطقة المخلاف السليماني (جازان) أو أجزاء منه . فنجد أن والي مكة المكرمـة مـن عام (٢٨١ـ ٢٩٥هـ/ ٨٩٤ ـ ٩٠٤م) كان عج بن حاج، وكان أخوه المظفر بن حاج يتولى أمر التهائم من قبله[٦] ، وربما قصد بمنطقة التهائم هنا، أي البلاد الممتدة من مخلاف حلي إلى جازان . ويشير الهمداني إلى بلاد بيش وما حولها والمعروفة باسم

---

(١) الهمداني، الجوهرتين، ٨٦، ٣٨٦، للمزيد عن بلدة ضنكان، انظر: الهمداني، صفة،١١٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٣٤١.
(٢) المصدر نفسه،
(٣) المصدر نفسه،
(٤) الإدريسي، ١٣٨/١، ١٤٥، ١٤٨، ياقوت، ٤٦٤/٣ .
(٥) انظر : عمارة اليمني، ٧٦ ـ ٨١ .
(٦) الهمداني، صفة، ٣٢٣(حاشية رقم (١))، الجندي، السلوك، ١٩٦/١ ـ ١٩٧ (الحاشية).

(عثر) قديماً فيقول : **(إن مخلاف عثر كان ملوكه من بني مخزوم من قريش)**[١]، وظهر في القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي سليمان بن طرف الحكمي فجمع عموم بلاد جازان تحت إمارته وأصبحت تعرف باسم (المخلاف السليماني) نسبة إلى هذا الأمير[٢]، وقد استطاع مد نفوذه شمالاً إلى البرك وربما شملت إمارته "حلي" والقنفذة وما حولها[٣].

ونجد أمراء بني حرام في حلي قد قوي سلطانهم، وبخاصة عندما أصبحوا تابعين للدولة الرسولية، وصاروا يعرفون باسم الأمراء بدلاً من الشيوخ . وعندئذ نجد بلاد البرك وما حولها تدخل تحت نفوذ أمراء بني حرام الكنانيين الذين يستمدون نفوذهم من بني رسول في اليمن . بل نجد بني رسول أنفسهم يسعون إلى تحصين بعض المواقع في منطقة البرك، ففي عام (٦٢٨ هـ ـ ١٢٤٠م) نجد السلطان الملك المنصور عمر بن علي بن رسول يأمر بعمارة بلدة البرك ويبني حولها سوراً حتى يحمي نفسه من هجمات الأيوبيين عن طريق الحجاز بعد أن أعلن استقلال دولته باليمن، وقطع ارتباطه بزعماء بني أيوب في مصر والحجاز[٤].

وعندما ضعف بنو رسول في اليمن صار الأشراف في مكة المكرمة يبذلون جهودهم لمد نفوذهم جنوباً حتى شمل في بعض الأحيان نواحي حلي والبرك وما حولها، وبخاصة بعد ظهور العثمانيين ومد نفوذهم إلى الحجاز واليمن، وصار الأشراف في الحجاز يتبعون العثمانيين عن طريق حكام مصر[٥].

---

(١) الهمداني، صفة، ٢٥٩، للمزيد عن بلدة عثر، انظر: الهمداني، صفة، ٥٤، ٦٨، ٧٧، ٢٤٨، ٢٦٨، ٣٤١ .

(٢) لمزيد من التفصيلات عن المخلاف السليماني وحكامه خلال العصور الإسلامية الوسيطة، انظر : العقيلي، تاريخ المخلاف، ٧١/١ وما بعدها، الزيلعي، الأوضاع، ١٨، وما بعدها .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) الخزرجي ٨٥/١ . للمزيد عن الدولة الرسولية وامتدادها على ساحل البحر الأحمر انظر: ابن حاتم، السمط، ٢٠١ وما بعدها، ابن القاسم، ٤٣٣/١، ١٨٥، البلادي، ٢٢٠، الزيلعي " مع الشاعر أبي دهبل "، ٥٠٢ . ويذكر أن سور البرك قد رمم عام (٧٠٧هـ/١٣٠٧م) ثم جاء الأمير عائض بن مرعي، أمير عسير (١٢٤٩ ـ ١٣٧٣هـ/ ١٨٣٣ـ١٨٥٦م) ، فقام ببناء وترميم بعض قلاعه . ابن عبده، ٢١٤ .

(٥) المصادر نفسها .

ب- يبة وقنونا :

يبــة وقنونا من المواطن الرئيسية في بلاد القنفذة، بـل إنهما واديان كبيران يأتيان مــن أعالي السروات ويقعان إلى الشمال من وادي حلي، ثم يسيران في الخبوت السهلية ويشملان إلى حد ما نسبة كبيرة من عشائر وسكان منطقة القنفذة . ففي أعاليهما تأتي القبائـل الأزدية في العرضيتين الجنوبيـة والشمالية[١] ، ثم يسيران عبر مناطق مختلفة بالعشائـر العدنانية والقحطانية حتى يصبا في البحر، فالأول يأتي جنوب بلدة القنفذة بثلاثين كيلومتراً والثاني ينزل إلى البحر من بلدة القنفذة نفسها[٢] .

وإذا رجعنــا إلى كتب الـتراث المتقدمة فلا نجد تفصيلات واضحــة تذكر التاريخ السياســي والحضــاري لسكان هذيــن الواديين خلال القرون الإسلاميــة المبكرة، وإنما نجـد فقط إشــارة إلى هذين المكانين ضمن محطات الطريق التجـاري التهامي، وربما ذكـرت أحياناً ضمن مخاليف تهامــة، بالإضافة إلى ذكر بعض المواقـع التاريخية التي توجد ضمن ديار هذين الواديين أو قريب منهما كسوق حباشة ومعدن عشم [٣] .

وقبل الإشارة إلى ما ورد عن يبة وقنونا في بعض الكتب التراثية المبكرة فإنه يحسن بنا ذكر الاستنتاجات من خلال دراستنا لأحوال جنوب الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة، ومنها ما يلي :

١. إن بلاد تهامة الواقعة بين اليمن والحجاز كانت قديما تتجاذبها القوى السياسية في كل مــن الناحيتين (الحجاز واليمن) ، والصليحيون والرسوليون[٤] ، فإنهم في بعض فترات حكمهــم كانوا يسعون إلى مد نفوذهم شمالاً، حتى يصلوا إلى بــلاد الحرمين ويسيطروا عليها، وأحياناً يتراجعــون إلى ما دون ذلك فيمدون نفوذهم على أجزاء من تهامة والسراة[٥] ، وكثيراً ما وضعوا أيديهم على بلاد

---

(١) البــلادي، ١٣٩، ١٦٦، الشريــف، ١/٢٥٨ ـ ٢٥٩، القــرني، ٢١ـ ٢٢، ٢٧ ـ ٣٦، الزبيــدي، ٣٢ . للمزيــد انظر: بحث مخطوط بعنوان : الوجيز عن تهامة، للرزقي (١٤١٣هـ) (صورة من هذا البحث ضمن أوراق مكتبة الباحث) (قسم بحوث ودراسات غير منشورة) رقم (٣١٦).

(٢) المراجع نفسها .

(٣) للمزيد عن سوق حباشة وعشم، انظر: الأزرقي، ١/٩٤، ١٩١، ياقوت، ٢/٢١٠ـ ٢١١، ٤/١٢٦ حسن الفقيه، مخلاف عشم، ١٩ وما بعدها، الجاسر "حباشة" ٢٨٩ وما بعدها، الرزقي، سوق حباشة، ٥ وما بعدها

(٤) انظــر : عمــارة اليمنــي، ٢٩ ومــا بعدها، ابن حــاتم اليامي، ٢٢ وما بعدهــا، أسامة حمــاد، ٤١ وما بعدها، الفيفي، ٣٣ وما بعدها .

(٥) العقيلي، ١/٩٢ وما بعدها، الزيلعي، الأوضاع، ٩ وما بعدها .

القنفذة اليوم أو أجزاء منها [١]. وفي حالة سيطرتهم على مثل هذه المناطق، فإنهم يبحثون بين السكان الأصليين، وبخاصة من أعيان ووجهاء البلاد، وممن لهم تطلعات إلى الإمارة والسلطة، فيجعلونهم نواباً عنهم في مناطقهم، وقد يتركون معهم عساكر وبعض الجيوش كي تساعدهم على ضبط البلاد وجباية خراجها لمن ساعدهم ومكنهم من الاستقرار والسيادة في بلادهم .

٢. إن بلاد تهامة كانت تتبع الأمير الذي يقيم في مكة المكرمة، وهو يستمد نفوذه من خلفاء بني أمية أو بني العباس، وفي العهود الإسلامية الوسيطة صار أمراء مكة تابعين للقوى السياسية في مصر كالدولتين الأيوبية والمملوكية . ولكن خروج منطقة تهامة وأيضاً السراة في الجبال أحياناً من حوزة أمراء مكة المكرمة بسبب ضعف الحكومات الرئيسية في الشام أو العراق أو مصر، وعدم قدرتها على مساندة أمراء مكة في مد نفوذهم على هذه البلاد التهامية والسروية . ثم ظهور حكومات سياسية قوية في اليمن. كما أشرنا . مما ساعد على السيطرة على البلاد التي تربط بين منطقتي اليمن والحجاز (تهامة وسراة) ، وذلك بهدف السيطرة على الحرمين . وهذا ما شاهدنا أمثلة منه في كتب التاريخ المحلي في كل من اليمن والحجاز خلال العصر الإسلامي الوسيط [٢] .

٣. إن كثيراً من كتب التراث أشارت إلى مواقع في تهامة . بما فيها منطقة القنفذة وسمتها أحياناً محطات، أو مخاليف، لكنها لم تعطنا صورة واضحة عن التركيبة السياسية لتلك المواقع، وإنما ورد ذكرها بسبب قوافل الحج والتجارة التي كانت تسلك الطرق التهامية وتأتي عبرها أو قريباً من تلك المواقع فيرد ذكرها عرضاً . والشيء الذي لا نشك فيه أن سكان المناطق التهامية يساسون من قبل مشايخ قبائلهم، فهم الذين يأمرون وينهون بين أفراد قبائلهم، بل أولئك المشايخ كانوا يمثلون قبائلهم عند القبائل الأخرى المجاورة، أو عند القوى

(١) المصادر والمراجع في الحاشيتين السابقتين .

(٢) انظر : المصادر التاريخية المحلية في اليمن والحجاز خلال العصور الإسلامية الوسيطة مثل: كتب الفاسي، وآل فهد في مكة، ومؤلفات الجندي، وديوان الشاعر ابن هتيمل، والخزرجي، وابن حاتم اليامي، وابن الديبع وغيرهم في اليمن . وانظر: بعض الدراسات الحديثة المتأخرة عن بلاد تهامة والسراة الواقعة بين اليمن والحجاز في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة . ومن أهمها بعض مؤلفات محمد العقيلي، وعبد الله أبو داهش، وأحمد عمر الزيلعي، وغيثان بن جريس وغيرهم ممن نشروا بحوثاً ودراسات في مجلات علمية مختلفة .

السياسية والإدارية التي كانت ترتاد المنطقة سواءً من اليمن أو الحجاز[1] .

٤. إن القبائل الأزدية التهامية في العرضيتين الجنوبية والشمالية من منطقة القنفذة هم – أساساً – بطون من قبائلهم الرئيسية في بلاد السراة، كانوا قدموا معهم في أثناء هجرة قبائل الأزد من اليمن، ثم تفرعوا من قبائلهم في أرض السراة فنزلوا عند سفوح جبال السروات الغربية . وهذا ما نجده ماثلاً للعيان في القبائل السروية الممتدة من منطقة عسير جنوباً إلى الطائف شمالاً. والقبائل الأزدية التهامية ترتبط بروابط النسب والمصاهرة والأحلاف مع قبائلهم الأم في السراة، ثم إن وضعهم السياسي والجغرافي في تهامة جعلهم أيضاً يختلطون بالقبائل اليمنية أو العدنانية التي تعيش معهم في الأراضي التهامية، ومن ثم كانوا يعقدون معهم مصاهرات وأحلافاً مختلفة بحكم الجوار والاختلاط في الأرض وموارد المياه وما شابهها [2].

أما ذكر الأقدمين لاسمي (**يبة وقنونا**) فقد ذكرا عند الجغرافيين المسلمين الأوائل على أنهما من المحطات الواقعة على الطرق التهامية بين اليمن والحجاز، إلا أنهم اختلفوا في طريقة لفظهما، أو ذكر واحد دون الآخر، وأحياناً يوردون اسم المكان في غير موقعه الصحيح . فاليعقوبي وابن خرداذبة ذكرا كلمتي قنونا ويبة وفي آخر كل منهما ألفاً ممدودة بالأولى، وتاء مربوطة بالثانية[3] . وهذا هو اللفظ الصحيح لكل من الكلمتين، وهو ما ورد عند كل من الأزرقي[4]، والحربي[5]، والهمداني[6]، والإدريسي[7]، فيما يخص قنونا، دون أن يذكروا اسم (يبة) ولكن الهمداني لم يستقر على كلمة (قنونا)، وإنما ذكرها أيضاً بلفظ (قنونى)[8]، وسار على طريقته كل من الأصفهاني

---

(١) للمزيد عن هيمنة القبائل على مواطنها في بلاد تهامة والسراة خلال العهود الإسلامية الوسيطة، انظر : الهمداني، صفة ١١٩وما بعدها، ناصر خسرو، ١٤١-١٤٢، المقدسي، ٨٦، ابن المجاور ٢٧/١، ٤٣ وما بعدها.

(٢) مشاهدات وجولات الباحث في عموم منطقة القنفذة عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، ويوجد لدى الباحث العديد من الوثائق التي توضح بعض الأحلاف والاتفاقيات بين بعض عشائر منطقة القنفذة خلال القرون الثلاثة الماضية المتأخرة . ومثل هذه الوثائق تكاد تكون عند غالبية قبائل سكان الجزيرة العربية .

(٣) اليعقوبي، ٣١٨، ابن خرداذبة، ١٤٨-١٤٩ .

(٤) الأزرقي، ٩٤/١، ١٩١ .

(٥) الحربي، ٦٤٧ .

(٦) الهمداني، صفة، ٣٤١، ٣٨٢ .

(٧) الإدريسي، ١٤٧/١-١٤٨ .

(٨) الهمداني، صفة، ٣٣٣ .

في كتابه الأغاني[١]، والبكري وياقوت في معجميهما فذكروا الكلمة بالألف المقصورة الموسومة بصورة الياء (**قنوني**)[٢]، لكن ياقوت عاد فذكر كل من (يبة) و(قنونا) بالألف القائمة للثانية، والتاء المربوطة للأولى[٣]. أما قدامة فذكر يبة دون أن يذكر قنونا [٤]، بخلاف كل من الحربي، والهمداني، والإدريسي الذين أشاروا إلى قنونا ولم يذكروا يبة[٥] .

أما ترتيب هذين الموقعين (**يبة وقنونا**) ووضعهما في مكانهما الصحيح ضمن محطات الطرق التي أشار إليها بعض الجغرافيين الأوائل، فقد وقع بعضهم في أخطاء. فاليعقوبي يذكر محطات الطريق ويشير إلى أن قنونا (القنفذة) بين محطتي ضنكان ويبة[٦]. وهذا غير صحيح، لأن قنونا تأتي إلى الشمال من يبة، بحوالي (٢٥-٣٠) كيلو متراً [٧] . وذكر الهمداني محجة صنعاء لمن سلك طريق تهامة من الجنوب إلى الشمال فقال: " .. ثم حلي، ثم الجو، ثم الجوينية من قنونا وتسمى القناة .. " [٨]، فإذا نظرنا إلى هذا الترتيب وواقع الحال فإنه لا يأتي بعد حلي شمالاً إلا الجو، وهو جو حلي، ثم تأتي الجوينية بعد حلي فلا نجد إلا وادي يبة الذي يقع شمال حلي وجنوب قنونا (القنفذة) . أما الجوينية التي يوردها الهمداني فلم نجد لها ذكراً عند المتقدمين وإنما نجد بعض المصادر المبكرة تذكر المحطات من الجنوب إلى الشمال على النحو التالي : **حلي، ثم يبة، ثم قنونا**[٩]، أما قدامة فكان بصدد ذكر بعض مخاليف تهامة[١٠] فيقول: " .. وتجاه الشمال ضنكان، ثم حلي، ثم يبة، ثم ابن جاوان، ثم عليب، ثم الليث

---

(١) الأصفهاني، ١٢/١٧٩ .

(٢) البكري، مج ٢، ج ٣/١٩٩، ياقوت، ٤/٤٠٩ .

(٣) ياقوت، ٤/٤٠٩، ج٥، ٤٢٨ ـ ٤٢٩ . وقد أورد بعض الأبيات الشعرية لكثير يرثي صديقه خندفاً الأسدي، فقال:

بوجه أخي بني أسد قنونا ... إلى يبة إلى برك الغماد

كما أورد بيتاً آخراً لخندق قال فيه :

مقيم بالمجازة من قنونا ... وأهلك بالأجيفر فالثماد

ياقوت، ٥/٤٢٩ . للمزيد انظر : كتاب الأغاني، ١٢/١٧٨ وما بعدها .

(٤) أبو الفرج قدامة . نبذ من كتاب الخراج . تحقيق دي خويه (ليدن:مطابع بريل، ١٨٨٩م) ، ١٩٢ .

(٥) الحربي، ص ٦٤٧، الهمداني، صفة، ٣٣٣، ٣٤١، ٣٨٢، الإدريسي، ١/١٤٧ ـ ١٤٨ .

(٦) اليعقوبي، ٣١٨ .

(٧) مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة القنفذة في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) .

(٨) الهمداني، صفة، ٣٤١ .

(٩) للمزيد انظر: ابن جريس، دراسات ١/١٨٠ ـ ١٨٨، للمؤلف نفسه " ملامح النشاط التجاري" ١٦٠ وما بعدها .

(١٠) قدامة، ١٩٢ .

" ولا يشير إلى قنونا كمخلاف، لكنه يورد (ابن جاوان) بين يبة وعليب والمسافة بين المكانين تقدر بـ (٨٥) كيلومتراً [١] ، مع أن قنونا تقع بين المكانين لكنها إلى يبة أقرب من عليب [٢] .

ج- سوق حباشة ، ومعدن عشم :

(*) **هما من المواقع التاريخية الواقعة ضمن نطاق وادي قنونا، أو قريبة منه.**

فسوق حباشة يعد واحداً من أسواق العرب، قبل الإسلام، وربما حضرها الرسول (ﷺ) قبل البعثة يوم أن كان يعمل في تجارة خديجة (رضي الله عنها) ، يقول حكيم بن حزام : " رأيت رسول الله (ﷺ) يحضرها . يقصد سوق حباشة . واشتريت فيها بزاً من بز تهامة، وهي صدر قنونا أرضها لبارق "[٣] ، ويفهم من هذا النص أن هذه السوق، تقع ضمن وادي قنونا . لكن أبا الوليد الأزرقي يذكر لنا تفصيلات أكثر عن هذه السوق، فيقول: "وحباشة سوق الأزد، وهي ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي من ناحية اليمن، وهي من مكة على ست ليال، وهي آخر سوق خربت من أسواق الجاهلية، وكان والي مكة يستعمل عليها رجلاً يخرج معه بجند فيقيمون بها ثلاثة أيام من أول رجب متوالية، حتى قتلت الأزد والياً كان عليها من غني بعثه داود بن عيسى ابن موسى في سنة سبع وتسعين ومئة، فأشار فقهاء مكة على داود بن عيسى بن موسى بتخريبها فخربها وتركت إلى اليوم .. " [٤] .

أما أبو عبيد البكري في القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي فيذكر عن هذا السوق قوله : " ... الحُباشة بضم أوله والشين معجمة، على وزن فُعالة، ويقال حُباشة بدون ألف ولام، سوق للعرب معروفة بناحية مكة، وهي أكبر أسواق تهامة، كانت

---

(١) مشاهدات الباحث وجولاته في منطقة القنفذة في عام (١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م) ، وابن جاوان، ربما هو (ناوان) في وقتنا الحاضر .

(٢) المرجع نفسه .

(٣) البكري، معجم، مج١ ، ج٢ ، ٤١٨ ، ويذكر أن حكيم بن حزام (رضي الله عنه) كان ممن عمل مع خديجة (رضي الله عنها) في تجارتها، وقد ارتاد سوق حباشة مرات عديدة، حتى إنه في إحدى المرات شرى زيد بن حارثة (رضي الله عنه) لخديجة بنت خويلد (رضي الله عنها) ، وهو ابن ثماني سنين، فتبناه الرسول، وكان يدعى زيد بن محمد حتى نزل قول الله تعالى (أدعوهم لآبائهم) انظر: حمد الجاسر " حباشة " ، هـ . ص ٢٨٩ ، للمزيد انظر : للمؤلف نفسه " أسواق العرب القديمة " مجلة العرب ، مج(٢٣) (٧-٨/ محرم وصفر) (١٤٠٩هـ/١٩٨٨م) ، ٤٩٨-٥١٤ ، البلادي، ١٤٩ .

(٤) الأزرقي، ١/ ١٩٢ .

تقوم ثمانية أيام في السنة"[١]. ويذكر ياقوت أن مما دفعه إلى تأليف معجمه أن دار نقاش بينه وبين رجل من المحدِّثين فكان ياقوت يرى بضم الحاء في كلمة (حُباشة) والرجل المحِّدث يرى فتحها، ثم قال: " فأردت قطع الاحتجاج بالنقل... إلى أن قال: فألقي حينئذ في روعي افتقار العالم إلى كتاب في هذا الشأن مضبوطاً " [٢]. ويظهر أن ياقوتاً لم يطّلع على كتابي الأزرقي والبكري، لأنه لم يذكر شيئاً عن حباشة سوى قوله - بعد ذكر المعنى اللغوي للكلمة -: " وحباشة سوق من أسواق العرب في الجاهلية ".

وتتعرض بعض الدراسات الحديثة لموقع سوق حباشة، فالجاسر يذكر أنه بصدر وادي قنونا، ويقع حيث يتسع حوض الوادي بمجاوزته ما كان يحصر مجراه من الجبال، ويعلل ذلك بأن هناك قرية تدعى الأحد، ويقام فيها سوق أسبوعي كل يوم أحد ولا يستبعد أن يكون سوق حباشة بقرب هذه القرية [٣]. وفي دراسة أخرى للجاسر نفسه يشير إلى أن سوق حباشة يقع شرق بلدة القنفذة بحوالي خمسة وعشرين كيلومتراً [٤]. كما يرى البلادي أن موقع السوق قد يكون بقرية المعقص ببلاد بني المنتشر من خثعم[٥]. أما رأي حسن الفقيه الذي أورده البلادي فيقول: " يقع في بداية تكون وادي قنونا بعد اجتماع الأودية الأربعة وادي رحمان، ووادي الخيطان، ووادي الحفيان، ووادي أبيان - جنوب غربي قرية الفائجة بحوالي أربعة كيلومترات - شرق المحلة المعروفة بالحوائر في بلاد بلقرن وبلحارث منهم بخاصة: والناس هناك يسمون هذا الموضع بالسوق [٦] ". وهناك بعض الملاحظات على هذه الأقوال عند المتقدمين والمتأخرين أذكر منها ما يلي:

١. إن الأمكنة التي ذكرها المتقدمون مثل الأزرقي ومن جاء بعده كقوله: **(ديار الأوصام من بارق من صدر قنونا وحلي)**[٧]، متعددة ومتباعدة، ثم إن بعضها غير معروف ولم نجد لها ذكراً كبلاد (الأوصام). أما بلاد بارق فهي تبعد تقريباً (١٠٠) كيلومتر جنوباً عن وادي قنونا، ووادي حلي لا يجاور قنونا وإنما يفصل بين الواديين وادي يبة. وهذه الأودية الثلاثة معروفة منذ القدم

---

(١) البكري، معجم، مج١، ج ٢، ٤١٨ .
(٢) ياقوت ٢/٢١٠ .
(٣) الجاسر " حباشة "، ٢٩١ .
(٤) الجاسر " أسواق العرب القديمة "، ٥٠٣ .
(٥) البلادي، ١٥٠ .
(٦) البلادي، ١٤٩، للمزيد انظر: الرزقي، سوق حباشة، ٥ وما بعدها .
(٧) الأزرقي، ١/١٩١ .

ومازالت تحمل نفس الأسماء إلى اليوم . وليس من المعقول أن تشترك قبائل هذه الأماكن المتباعدة في سوق واحد كسوق حباشة، حتى وإن كان أكبر أسواق تهامة، كما يذكر البكري[١] .

٢. يقول الأستاذ حسن الفقيه إن المقصود بديار (الأوصام) أنها كلمة محرفة يقصد بها الأواس، القبيلة الأزدية التي استوطنت هذه البلاد منذ القدم، وكان هذا السوق في ديارها[٢]، وهذا الرأي يحتاج إلى براهين قوية تؤكد أن الأوصام التي ذكرها الأزرقي هي الأواس الخثعمية التي أشار إليها الفقيه : مع أننا لا نجد ذكراً واضحاً لمنطقة وقوة قبيلة الأواس، حتى تحضن أكبر أسواق تهامة. وفي اعتقادي أننا لازلنا بحاجة إلى دراسات علمية أثرية لموقع السوق حتى نخلص من هذا التضارب حول موقعه . وإذا عرفنا المكان الصحيح للسوق فإن معرفة القبيلة المسؤولة عنه سيكون أمراً يسيراً . مع أنني أستبعد أن يكون لبارق وقبائلها صلة بهذا السوق، وبخاصة إذا كان في صدر قنونا لبعد المسافة بين المكانين .

٣. يتضح لنا أن القبائل تلعب دوراً كبيراً في التشكيلة السياسية والإدارية في بلادها وما جاورها، وأحياناً قد ينفلت زمام الأمن وتصبح الحكومة غير قادرة على ضبط الأمور في نواحيها، وهذا ما نلحظه عندما قتلت بعض قبائل الأزد والي سوق حباشة المعين عليه من قبل والي مكة المكرمة . فلم يكن على والي مكة إلا أن يأمر بتخريب هذا السوق، وهدم بعض المباني الموجودة به – إن وجدت – مع أن الأسواق القديمة التي تستمر طويلاً، قد لا يوجد بها مبان حجرية أو ترابية، وإنما الاكتفاء بالبيوت المنصوبة كالخيام ونحوها مما يسهل نقلها عند انتهاء زمن السوق . وربما أعيد بناء هذا السوق بعد تخريبه بزمن، وبخاصة أننا لازلنا نجد أسماء لبعض الأسواق الأسبوعية الموجودة عند قبائل العرضية الشمالية [٣] التي ربما كان سوق حباشة يوجد ضمن ديارها .

---

(١) البكري، معجم، مج١، ج٢، ٤١٨ .

(٢) حسن الفقيه "حباشة" دراسة منشورة بحوليات سوق حباشة ، (أبها : نادي أبها الأدبي ١٤١٦هـ/١٩٩٦م)، ٣٩، الرزقي، سوق حباشة، ٧ وما بعدها .

(٣) هناك أسواق أسبوعية عديدة في العرضيتين الشمالية والجنوبية، وبعضها يعود تاريخه إلى مئات السنوات، وأخرى لم يمر على نشأتها إلا نحو ثلاثين أو أربعين عاماً . مشاهدات الباحث وجولاته في العرضيتين عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)، بالإضافة إلى مقابلة عدد من أعيان ووجهاء المنطقة، انظر: دراسة الرزقي، الوجيز عن تهامة بلقرن وشمران وخثعم، ١٤ وما بعدها .

٤. اشتهار سوق حباشة على غيره في تهامة عائد ربما إلى مجيء الرسول (ﷺ) قبل البعثة، مع أنه من المؤكد أن هناك أسواقاً ربما كانت أنشط وأكبر من هذا السوق، وذلك بسبب وقوع منطقة القنفذة على طرق الحج والتجارة بين اليمن والحجاز، ثم وجود بعض المعادن المشهورة بها كمعدني ضنكان وعشمٍ، بالإضافة إلى أنها مأهولة بالبطون والقبائل العربية المتعددة، التي غالباً ما توجد أسواق في بلادها وتحت حمايتها.

٥. قول الجاسر: سوق حباشة يبعد عن بلدة القنفذة شرقاً بحوالي (٢٥) كيلومتراً فهذا غير صحيح، وإنما مكانه ربما في صدر قنونا، وهو أبعد من ذلك بحوالي الخمسين كيلومتراً . أما ترجيحه في مكان آخر بأن هناك قرية تسمى الأحد (أحد بني زيد)، فربما كانت مكاناً للسوق، فهذا غير صحيح . لأنني سألت في بلاد العرضية الشمالية عن قرية تسمى بهذا الاسم، فلم أجد لا قرية ولا سوقاً يحملان هذا الاسم . أما رأي الفقيه والبلادي فليسا مختلفين كثيراً لأن مكاني المعقص والحوائر متقاربان فلا يبعد الأول عن الثاني إلا أربعة كيلومترات تقريباً[1] .

(**) **أما معدن عشم فلا يقع ضمن واديي يبة وقنونا (القنفذة) وإنما هو إلى الشمال الشرقي من الثاني بحوالي (٦٥) كيلومترا**، لكن هذه الأمكنة جميعها تأتي ضمن بلاد القنفذة . وقد ذكرته بعض كتب التراث على أنه مخلاف، وأحياناً أوردته على أنه محطة من محطات الطريق بين اليمن والحجاز، ويشترك فيه بطون من قبائل الأزد وكنانة، لكن الأهم في هذا الموقع أنه موطن لبعض المعادن النفيسة[2] . وتذكر بعض الدراسات الحديثة "عشم" فتورد معلومات عن مكانه وطبيعة أرضه، فالبلادي يشير إلى موقعه في صدر وادي قرماء[3]، وقد شاهد به العديد من الآثار والنقوش التي يدل بعضها على أنه كان موقعاً للتعدين . أما حسن الفقيه فقد نشر عن هذا المعدن دراسة قيمة، وذكر أنه مخلاف يتكون من عدة قرى منها : قرية مسعودة، ومحلة النصائب، ومحلة الأحسبة الجنوبية، والشمالية . ولزيادة الإيضاح والشروحات الجيدة عن تاريخ

---

(١) أقول أن موقع سوق حباشة مازال غامضاً وغير معروف حتى الآن ، والتنقيب والدراسات الآثرية الجادة هي ربما من قد يوضح مكانه الصحيح .

(٢) للمزيد عن بلدة عشم، انظر: الهمداني، ١١٨، ٢٥٩، ٢٦٢، ٣٤١ ياقوت، ١٢٦/٤ .

(٣) البلادي، ٨٤ .

بلاد عشم وما يوجد بها من نقوش وآثار يعود تاريخها إلى القرون الأولى من عصر الإسلام فإنه يفضل الرجوع إلى كتاب الفقيه / الموسوم بـ : **(مخلاف عشم)**[١] .

وربما قامت حلي ونشطت سياسياً وإدارياً يوم أن بدأ التدهور في مخلافي ضنكان وعشم، والفرق الذي يتضح لنا من تاريخ هذه المواطن أن معدني ضنكان وعشم إنما اكتسبا شهرتهما من المعادن الموجودة بهما، أما حلي فظهور إمارة بني حرام بها ثم توارثهم الإمارة عليها، بالإضافة إلى اتصالاتهم الإدارية والسياسية بالقوى المعاصرة لهم في كل من اليمن ومكة مما جعل لها سمعة وتاريخاً أوسع، حتى جاءت بلدة القنفذة وأصبحت أكثر شهرةً من حلي وغيرها من المواطن، بل أصبح اسم القنفذة يطلق على منطقة واسعة تشمل كل من ضنكان وعشم وحلي وغيرها .

د- الأحسبة ودوقة :

تعد الأحسبة ودوقة من الأودية الرئيسية في بلاد القنفذة، ويقعان إلى الشمال من القنفذة، وتأتي منابعهما من سروات غامد وزهران . ونجد عبد الرحمن الشريف يسهب الحديث في تركيبتهما الجغرافية، ومواقعهما، وما تمتاز به أرضهما . وإذا حاولنا معرفة الجوانب التاريخية والحضارية لسكان هذه البلاد، فإننا نخرج بالعديد من الانطباعات التي نذكر أهمها في النقاط التالية .

١. إن واديي الأحسبة ودوقة يفتقران إلى معلومات تاريخية واضحة مقارنة ببلدة القنفذة وحلي والبرك، وذلك ربما بسبب شهرة المواطن الأخيرة باعتبارها موانئ تجارية نشطة، ثم مراكز سياسية وإدارية هامة، وبخاصة بلدة حلي في القرون الإسلامية المبكرة والوسيطة[٢] .

٢. نجد العديد من كتب التراث الإسلامي وبخاصة مؤلفات ومعاجم الجغرافيين والرحالة المسلمين الأوائل يذكرون الأحسبة ودوقة ضمن المحطات التجارية الرئيسية الواقعة على الطرق التجارية التهامية التي تربط اليمن بالحجاز[٣] .

---

(١) حسن الفقيه . مخلاف عشم، ٢٧ وما بعدها .

(٢) البكري، ١/٢، ٥٦٤ـ ٥٦٥ . وقد ذكر البكري (دوقة) باسم (دومة) وهذا خطأ، ياقوت، ١/١١٢، ٢، ٤٨٥، البلادي، ٦٧، ٧٨، ٩٩ .

(٣) انظر: اليعقوبي، البلدان، ٣١٧، ابن خرداذبة، ١٣٣، ١٤٨، الحربي، ٦٤٦، المقدسي، ٨٨، ٨٩، الهمداني، ٣٣٩ـ ٣٤١، البكري، مج ٢، ج٣، ٨٨٢، الإدريسي ١/١٤٥ وما بعدها .

لكنهم لم يذكروا تفصيلات دقيقة عن سير الحياة السياسية والحضارية في هاتين المحطتين، بل لا نجد عندهم أي شيء عن كيفية تعامل سكانٍ هذه البلاد مع التجار والحجاج الذين يجتازون بلادهم ، وهذا قصور غالباً ما يكون في جميع المراكز التجارية الممتدة على طول الطرق التهامية الواصلة بين اليمن والحجاز[١] .

٣. نجد إشارات قليلة في بعض المصادر الحجازية واليمنية المحلية التي تذكر تبعية مناطق الأحسبة ودوقة إلى أمير مكة المكرمة، التي يرسل لها ولاة من مكة كي يتولوا زكوات أهلها، وحماية أسواقهم[٢] . وهذا ربما كان يحدث في مكان المحطة التجارية أو المركز الرئيسي الذي يرتاده التجار والحجاج وغيرهم. أما الأوضاع الداخلية والقريبة من سفوح جبال السروات في وادي الأحسبة أو دوقة، أو غيرهما من أودية منطقة القنفذة كالعرضيتين وغيرها، فكانت تعيش تحت سيطرة قبائلها، وشيوخهم هم أصحاب الحل والعقد في جميع شؤونهم، وإن اتصلوا ببعض القوى السياسية في اليمن والحجاز وحتى في حلي أو غيرها، فالعلاقة تكاد تكون شكلية . وهذه طبيعة الأحوال التي كانت سائدة عند جميع المواطن والقبائل البعيدة عن الحواضر والمراكز الحضارية الكبرى[٣] .

---

(١) المصادر نفسها . للمزيد انظر: ابن جريس، دراسات، ١٣/١ وما بعدها .

(٢) المصادر والمراجع نفسها . للمزيد انظر: حسن الفقيه، مخلاف عشم، ٢٧ وما بعدها . للمؤلف نفسه، مدينة السرين، ١٢ وما بعدها، الزيلعي، الأوضاع، ٢٥ وما بعدها، للمؤلف نفسه "وادي حلي" ، ١١ وما بعدها .

(٣) من يستقرئ أوضاع القبائل في الجزيرة العربية خلال العصور الإسلامية المبكرة والوسيطة يجدها صاحبة الهيمنة على أوطانها، وإذا ما أرادت بعض القوى السياسية مد نفوذها على بعض القبائل فإنها تولي شيوخها ووجهاءها عناية بالغة حتى يكسبوا ودهم ويضمنوا ولاءهم ومن ثم يأمنوا جانبهم، وإذا لم يستطيعوا فعل ذلك فإنهم قد يفشلوا في تحقيق أهدافهم، والوصول إلى مبتغاهم .

ثانياً : الأوضاع السياسية والإدارية من (ق١٠هـ.١٥هـ /١٦.٢١م):

١- تمهيد :

قبل الحديث عن أوضاع بلاد القنفذة السياسية في العصر الحديث لابد من الإشارة إلى بعض الملامح التاريخية العامة في العالم الإسلامي بشكل عام وفي جزيرة العرب بشكل خاص، إذ كانت على النحو التالي : كانت الدولة الإسلامية المملوكية (٦٤٨.٩٢٣هـ/١٢٥٠.١٥١٧م) في مصر حامية حمى الإسلام، وصاحبة النفوذ السياسي والإداري في الجزيرة العربية وبخاصة أرض الحرمين (مكة والمدينة)[١] . والدولة الرسولية باليمن (٦٢٦.٨٥٨هـ/ ١٢٢٩.١٤٥٤م) هي الأخرى معاصرة لبعض فترات الدولة المملوكية [٢]، بل كان هناك بعض العلاقات والصراعات المستمرة بين حكام تلك الدولتين[٣] وأمراء الأشراف في مكة، من الأسرة القتادية[٤] الذين لعبوا دوراً في ذلك الصراع، مع أن الدولة المملوكية استمرت في حكم أجزاء من العالم الإسلامي، وظهرت الدولة الطاهرية في اليمن على أنقاض الدولة الرسولية واستمرت بين مد وجزر في الصراع مع الدولة المملوكية[٥].

وفي بداية العصر الحديث برزت قوة البرتغاليين كدولة استعمارية توسعية، فعملت على مد نفوذها على أجزاء من الجزيرة العربية وبخاصة موانئ البحر الأحمر الممتدة

---

(١) للمزيد عن تاريخ الدولة المملوكية، انظر: أنطوان خليل ضومط . الدولة المملوكية : التاريخ السياسي والاقتصادي والعسكري (١٢٩٠.١٤٢٢م) (بيروت : دار الحداثة، ١٩٨٠م)، ٣٨ وما بعدها، ريتشارد مورتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة المكرمة في العصر المملوكي (الرياض: عمادة شؤون المكتبات، بجامعة الملك سعود، ١٩٨٥م)

(٢) وعن تاريخ الدولة الرسولية، ثم صلاتها بالدولة المملوكية، انظر: ابن حاتم، ٢٠١ وما بعدها، الجندي، السلوك، جزءان، الخزرجي، العقود ، جزءان، أحمد حسين شرف الدين . اليمن عبر التاريخ (الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م)، ٢٢٣ ـ ٢٢٥، الفيفي، ٢٩ وما بعدها .

(٣) المصادر والمراجع نفسها، للمزيد انظر: السباعي، تاريخ مكة، ٢٥٤ وما بعدها .

(٤) الأشراف في مكة ثلاث طبقات، الأولى الأسرة الموسوية، وهي أول من استقل بحكم مكة عن الخلافة العباسية، ولبثت في الحكم حوالي قرن من الزمان (٣٥٧.٤٥٣هـ/ ٩٦٨.١٠٦١م) ثم جاء الذين ورثوا حكم بني عمهم الموسويين، وهم السليمانيون ولبثوا في الحكم حتى سنة (٥٩٧هـ/١٢٠٠م)، ثم خلفهم أسرة قتادة، نسبة إلى قتادة بن إدريس بن مطاعن، وقد استمروا في السلطة إلى العصر الحديث، وعاصروا عهود الدولة الرسولية في اليمن، والمماليك في مصر، ثم الدولة العثمانية، للمزيد انظر: السباعي، ١٧٢ وما بعدها، الزيلعي مكة، ٤٢ وما بعدها، مورتيل ١٤ وما بعدها .

(٥) محمد عبد العال أحمد . بنو رسول وبنو طاهر، وعلاقات اليمن الخارجية في عهدهما (الإسكندرية : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م)، ص ٣ وما بعدها، شرف الدين، ٢٢٣ وما بعدها

من الحجاز إلى اليمن[١] . ووقع العديد من الصدامات العسكرية بين أساطيل تلك القوى الأجنبية الغازية وجيوش المماليك والدولة الطاهرية في اليمن[٢]. وغالباً كان البرتغاليون أقوى وأكثر تنظيماً من القوى الإسلامية في اليمن ومصر والحجاز[٣].

أما أشراف مكة فكانوا يستمدون قوتهم ونفوذهم على الحجاز، من قبل المماليك، واستمر حكمهم ممتداً من مكة المكرمة على طول ساحل البحر الأحمر جنوباً حتى منطقة المخلاف السليماني (جازان)[٤]، وعندما ضعف المماليك وقضي عليهم على يد السلطان العثماني سليم خان في مطلع سنة (٩٢٣هـ/ ١٥١٧م)[٥]. أصبح العثمانيون هم حماة الحرمين الشريفين، وصاروا مسؤولين عن محاربة البرتغاليين، وصدهم عن بلاد العالم الإسلامي ومقدساته[٦].

وفي ضوء هذه السياسات العامة برز في الجزيرة العربية بعض القوى السياسية الناهضة، وفي مقدمتها الدولة السعودية الأولى (١١٥٧-١٢٣٣هـ/ ١٧٤٤-١٨١٨م) في نجد، التي استطاعت أن تمد نفوذها على عموم الجزيرة العربية[٧]، وبرز تحت لواء بعض القوى السياسية الأخرى، التي حملت مبادئ الدعوة السلفية التي جاء بها السعوديون[٨] مثل: العسيريين في منطقة عسير، الذين تبنوا نشر مبادئ الدعوة السلفية

---

(١) محمد عبد العال أحمد . البحر الأحمر والمحاولات البرتغالية الأولى للسيطرة عليه : نصوص جديدة مستخلصة من مشاهدات المؤرخ اليمني بامخرمة كما سجلها في مخطوطة (قلادة النحر). (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٠م)، ٩٧ وما بعدها ، سعد زغلول عبد ربه " البرتغاليون والبحر الأحمر " سمنار للدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس . البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة (القاهرة، ١٩٨٠م)، ٢٠٥-٢٢٢ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها، للمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس . " جدة في مواجهة الخطر البرتغالي خلال الثلث الأول من القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي " بحث قدم في مؤتمر، الصراع بين العرب والاستعمار في عصر التوسع الأوربي الأول، اتحاد المؤرخين العرب بالقاهرة، ١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ٢٢٧-٢٧١ .

(٣) المصادر والمراجع نفسها .

(٤) مورتيل، ٣٥ وما بعدها، السباعي، ٣١٨ وما بعدها، الزيلعي، الأوضاع، ٩ .

(٥) السباعي، ٣٤٠ وما بعدها، للمزيد انظر: دحلان، ١٧٣ وما بعدها .

(٦) السباعي، ٣٤٣ وما بعدها، ابن جريس " جدة في مواجهة الخطر البرتغالي .." ، ٢٥٠ وما بعدها .

(٧) انظر : عثمان عبد الله بن بشر " عنوان المجد في تاريخ نجد " تحقيق عبد الرحمن آل الشيخ (الرياض : دارة الملك عبد العزيز، ١٤٠٢هـ /١٩٨٢م) ١/ ٣٣، ٤٨ وما بعدها، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم . الدولة السعودية الأولى . (القاهرة : دار الكتاب الجامعي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م)، ٦٥ وما بعدها، منير العجلان. تاريخ البلاد السعودية، الدولة السعودية الأولى . (الرياض : دار الشبل للنشر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ١/ ٩٧.

(٨) لمزيد من التفصيلات عن الدعوة السلفية ومبادئها، انظر: عبد الله صالح العثيمين . الشيخ محمد بن

في جنوب الجزيرة العربية، وقد نجحوا في ذلك[١] وتصدوا لسلاطين الدولة العثمانية، والأشراف في مكة، وامتد حكمهم حتى مكة وجدة [٢]، فلم يكن من العثمانيين إلا إرسال حملات عسكرية قتالية ضد السعوديين بقيادة محمد علي باشا، حاكم مصر، ونجح في القضاء عليهم وعلى عاصمتهم الدرعية في نجد عام (١٢٣٣هـ/ ١٨١٨م) [٣]، واستطاع أن يصل إلى بلاد عسير، ويقضي على أسرة آل المتحمي (١٢١٥- ١٢٣٣هـ/ ١٨٠٠ـ ١٨١٨م) التي كانت الساعد الأيمن للدولة السعودية في محاربتها الجيوش العثمانية[٤]. ومع أن العثمانيين استولوا على عسير، وقضوا على إمارتها، فإن العسيريين لم يتوقفوا في كفاحهم ضد الدولة العثمانية، فظهر بعض الأمراء المحليين الآخرين، وأبرزهم عائض بن مرعي وولده محمد (١٢٤٩ـ ١٢٨٩هـ/ ١٨٣٣ـ ١٨٧٢م) الذين تصدوا للعثمانيين ومعهم أشراف مكة[٥]، فحاربوهم وكبدوهم خسائر كبيرة حتى سقطت بلاد عسير في يد الجيش العثماني عام (١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢م)[٦] .

أسس العثمانيون متصرفية عثمانية في أبها يتبعها العديد من الأقضية في نواح عديدة من بلاد تهامة والسراة، الممتدة من زهران والقنفذة شمالاً إلى جازان وعسير جنوباً [٧]، وفي العقد الرابع من القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي خرج

عبد الوهاب حياته وفكره (الرياض : دار العلوم، د . ت) ، ٢٦ وما بعدها، العجلان، ١/ ٩٧، مسعود الندوي. محمد بن عبد الوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه . ترجمة عبد العليم البسيوني ومراجعة محمد هلال (الرياض : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ٧٤ وما بعدها.

(١) للمزيد عن العسيريين، وقادتهم أمراء آل المتحمي الذين تبنوا مبادئ الدعوة السلفية، وقاموا على نشرها في جنوب الجزيرة العربية، انظر: محمد بن هادي العجيلي . الظل الممدود في الوقائع الحاصلة في عهد ملوك آل سعود الأولين . تحقيق عبد الله أبو داهش (أبها : مطابع مازن، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، ٢٢، ٢٣، عبد الله بن عبد الشكور . تاريخ أشراف وأمراء مكة . مخطوط ميكروفيلم جامعة الملك سعود، رقم (ف /٤٤/ ١)، ورقة ٨٦، أحمد يحيى آل فائع . دور آل المتحمي في مد نفوذ الدولة السعودية الأولى في عسير وما جاورها (١٢١٥ـ١٢٣٣هـ/ ١٨٠٠ـ١٨١٨م) الرياض : مطابع الحميضي، ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م)، ٩٩ـ ١٢٥.

(٢) ابن عبد الشكور، ورقات، ٩٢، ١٠١ وما بعدها . العجيلي، ٢٩ وما بعدها، آل فائع، ١٦٥ وما بعدها .

(٣) لمزيد من التفصيلات عن حروب محمد علي باشا مع حكام الدولة السعودية الأولى والقضاء عليهم، انظر: ابن بشر، ٢١٢ وما بعدها، دحلان، ٢٩٥ وما بعدها، عبد الرحيم، الدولة السعودية الأولى، ٣١٠ وما بعدها. السباعي، ٢/ ٥٢٣ ـ ٥٢٦، العثيمين، تاريخ، ١/ ١٩١ـ ٢٠٧ .

(٤) للمزيد انظر : ابن مسفر، أخبار، ٧٤، آل فائع، ١٠٣ وما بعدها .

(٥) لمزيد من التفصيلات عن إمارة آل عائض في عسير في عهدي عائض بن مرعي وولده محمد، انظر: علي أحمد عسيري . عسير (ق١٢٤٩هـ/١٨٣٣مـ ١٢٨٩هـ / ١٨٧٢) (دراسة تاريخية) (أبها : نادي أبها الأدبي، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م) ١٥٨ وما بعدها .

(٦) المرجع نفسه، ٣٦٣ وما بعدها .

(٧) المرجع نفسه . وكانت القنفذة من الأقضية الرئيسية التابعة للمتصرف العثماني في أبها، انظر: شاكر، ٢٢٠ .

العثمانيون من عسير، وحل محلهم حكم الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود[١] .

أما بلاد جازان (المخلاف السليماني) فكانت على صلات بالقوى الداخلية والخارجية التي برزت على الساحة السياسية في القرون الحديثة المتأخرة[٢] . وذلك لأهميتها كميناء تجاري على البحر الأحمر، وموقعها على الطريق الواصل بين اليمن والحجاز . أما القوى المحلية التي كانت تحكمها فكانت متمثلة في بعض أسر الأشراف التي قدمت إليها من الحجاز في عهود إسلامية مبكرة[٣]. ومن أشهر حكامها في القرن الثالث عشر الهجري / التاسع عشر الميلادي حمود أبو مسمار، (١١٧٠-١٢٣٣هـ/ ١٧٥٦- ١٨١٨م) الذي عاصر الدولة السعودية الأولى، وأسرة آل المتحمي في عسير، وكان له معهم صلات وصرعات سياسية وحربية عديدة[٤]، وعلاقاته السياسية والحربية امتدت إلى الأشراف في الحجاز والعثمانيين في اليمن والحجاز، ومصر، والآستانة[٥]، وبقيت بلاد جازان تسهم في السياسة المحلية والإقليمية خلال إمارة آل عائض في عسير[٦]، ثم دخلت تحت نفوذ العثمانيين منذ عام (١٢٨٩هـ/ ١٨٧٢)[٧] . وفي العقود الأولى من القرن الرابع عشر الهجري / العشرين الميلادي

---

(١) عبد الله بن صالح العثيمين . تاريخ المملكة العربية السعودية (الرياض : مطابع العبيكان، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ٢ /١٥، ١٧٣، عبد الله بن علي بن مسفر . السراج المنير في سيرة أمراء عسير (بيروت : مؤسسة الرسالة، ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م)، ١٣٣ وما بعدها، شاكر، ٢٤٩ وما بعدها .

(٢) العقيلي، المخلاف، ٣٧٣/١ وما بعدها .

(٣) للمزيد انظر : العقيلي، المخلاف، ١٩٩/١ وما بعدها، الزيلعي، الأوضاع، ٣٧ وما بعدها .

(٤) للمزيد انظر : عبد الرحمن أحمد البهكلي . نفح العود في سيرة الشريف حمود . تكملة الحسين بن أحمد عاكش . تحقيق محمد العقيلي، (جازان : مطابع جازان، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م)، ٢٧ وما بعدها . العقيلي، المخلاف، ٤٣٣/١ وما بعدها، علي حسين الصميلي . العلاقات بين أمراء أبي عريش وأمراء عسير في القرن (١٣هـ) (١٢١٧-١٢٦٤هـ/ ١٨٠٢-١٨٤٧م) . محمد عبد الله آل زلفة . تطور الأوضاع السياسية في جنوب غرب الجزيرة العربية، إمارة أبي عريش، وعلاقتها بالدولة العثمانية (١٢٥٤-١٢٦٥هـ/ ١٨٣٨-١٨٤٩م (دراسة وثائقية) (الرياض : مطابع الفرزدق، ١٤١٧هـ)، ص ١١ وما بعدها .

(٥) العقيلي، المخلاف، ١ /٤٤٤ وما بعدها، عبد المنعم الجميعي . عسير خلال قرنين (١٢١٥-١٤٠٨هـ/١٨٠٠-١٩٨٨م) (أبها : نادي أبها الأدبي، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م)، ٣٧ وما بعدها.

(٦) عسيري، عسير، ٢٩٥-١٠٨، العقيلي، المخلاف، ٥٤٦/١-٥٧٩ .

(٧) ابن مسفر، السراج، ١٠٥-١٠٨، العقيلي، المخلاف، ٥٤٦/١-٥٧٩ . غيثان بن علي ابن جريس . صفحات من تاريخ عسير، (الرياض : مطابع العبيكان، ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م) ١+٢/٩١-١٢٠ ، ٢٣٥-٢٧٤، عبد الهادي عبد الله مشبب الشهري . الحروب التركية في المنطقة الجنوبية (١٢٢٨-١٢٨٩هـ/ ١٨١٣-١٨٧٢ م) (الرياض : مطابع الإيناس، ١٤١٩هـ/ ١٤١ وما بعدها .

ظهـر في جازان، وبخاصـة مدينة صبيا، قـوة سياسية محلية، يسوسهـا ويدير شؤونها محمـد بـن علـي الإدريسـي (١٣٢٦ـ ١٣٤١هـ/ ١٩٠٨ـ ١٩٢٢م)[١] ، وامتـد سلطانها علـى معظـم الأراضـي الجازانية، وأجـزاء من بـلاد اليمـن الساحليـة[٢] . وقد لعب الإدريسـي دوراً سياسياً وحربياً في محاربة القـوى العثمانية في عسير، والبحر الأحمر، والحجـاز[٣] . واصطـدم ببعض القوى المحليـة كالأشراف في الحجاز، وجـازان، وآل عائض في عسير، أو الأئمة الزيدية في اليمن[٤]، وعقد اتفاقيات مع بعض القوى الأجنبية الغربيـة كالايطاليـين والبريطانيين[٥] . وبقيـت إمارة الأدارسة تمـد نفوذها في تهامة وعسير حتى وصل حكم الإمام عبد العزيز بن سعود إلى أبها عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، ومن ثم راجع الإدريسي حساباته في المنطقة ثم عقد اتفاقية مصالحة مع ابن سعود عام (١٣٣٨هـ / ١٩١٩م)، وأخيراً دخل في حكمه وأصبحت جازان جزءاً من الدولة السعودية الحالية عام (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م)[٦].

٢- الأوضاع السياسية :

كانـت أول إشـارة ـ كمـا ذكرنـا ـ إلى اسـم هـذه البلـدة المعروفـة اليـوم بـ (القنفـذة) في القـرن العاشر الهجري (السادس عشـر الميلادي)، حيث جاء اسمها صريحـاً في حادثة مقتل قاضي مكة أبي السعود بـن ظهيرة غريقاً في القنفذة بأمر من الشريـف بـركات عندما علم بخيانتـه، وكان ذلك في يوم الأحد الثـاني من ذي الحجة

---

(١) تعـود إمـارة الإدريسي في تهامـة إلى السيد محمد بن علي بـن أحمد الإدريسي، الذي قـام بتأسيسها عام (١٣٢٦ ـ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٨م)، ويرجـع في أصله إلى المغرب إذ كان جده أحمد مـن المغرب وهاجر منها إلى الحجـاز، ثم إلى جازان، واستقـر في صبيا عام (١٢٤٦هـ/١٨٣٠م) بجـوار الشريف حسين بن حيدر من أشـراف أبي عريش، وتوفي في محل إقامته عام (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م)، وخلفـه ابنه علي، الذي لم يكن مثل والـده في العلـم والسياسـة، وجاء حفيد أحمد، محمـد بن علي فأقـام إمارته في جازان، علـى سمعة جده أحمد، كما ساعدته الظروف السياسية على بسط نفوذه في تهامة عندما كانت الدولة العثمانية في حالة من الضعـف والارتبـاك السياسي. للمزيد انظر: العقيلي، المخلاف، ٢/ ٦٢٠ ومـا بعدها، ابن مسفر، السراج، ١٠٩ . عبـد المنعم إبراهيـم الجميعي، الأدارسة في المخلاف السليماني وعسـير (١٣٢٦ـ١٣٤٩هـ / ١٩٠٨ـ ١٩٣٠م) (خميس مشيط : دار جرش للنشر، ١٩٨٧م)، ٥ وما بعدها، باشا، مذكرات، ٣٢.

(٢) المراجع نفسها .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) المراجع نفسها . للمزيد انظر : شاكر، ٢٣٣ وما بعدها .

(٥) للمزيـد انظـر: العقيلي، المخـلاف، ٢/٦٧٣، ٦٧٤، ٧٠٧، ٧٠٩، ٧٢٧، ٧٢٨ . شاكـر، ٢٣٨ـ ٢٣٩، ٢٤٤ ـ ٢٤٥، الجميعي، الأدارسة .

(٦) شاكر، ٢٤٣ وما بعدها، الجميعي، الأدارسة، ١٢ وما بعدها .

سنة سبع وتسعمائة[١]. ولعل في ذلك ما يبرهن على اتخاذها قاعدة لتنفيذ العمليات الحربية والسياسية حينذاك إضافة إلى تبعيتها للحجاز كما ورد ذكرها في سنة (٩٠٨هـ/ ١٥٠٢م) حيث خرج الشريف بركات بن محمد من مكة المكرمة إلى ساحل القنفذة[٢].

وقد تأخرت القنفذة عمرانياً واقتصادياً في النصف الأول من القرن العاشر بسبب التهديد البرتغالي لسواحل البحر الأحمر بالجزيرة العربية [٣]. غير أنه سرعان ما عاد إليها نشاطها فسميت ببندر القنفذة وذكرها النهروالي حين قال: ـ في معرض حديثه عن رضوان باشا ـ: وتوجه منها إلى مكة المكرمة ودخلها في أواسط محرم الحرام سنة خمس وسبعين وتسعمائة [٤].

وذكرها العصامي في أحداث سنة (١٠٥٩هـ/١٦٤٩م)، بقوله: ورد إلى مكة المكرمة بعض تجار من الصعايدة وشخص أعجمي يسمى أسد خانٍ جاءوا من جهة اليمن بتجارة ونزلوا من البحر إلى القنفذة ووصلوا مكة المكرمة براً ولم يدخلوا بندر جدة [٥].

ومما تجدر الإشارة إليه هو قوة الاتصال بين القنفذة ومكة وذلك حينما استخدم رضوان أغا الوسائط النقلية الموجودة في القنفذة والقادمة من جدة والمدينة، التي تم من خلالها تنظيف مخلفات السيل الذي أدى إلى سقوط بعض جدران الكعبة وكان ذلك التكليف من قبل والي مصر في القرن الحادي عشر سنة (١٠٣٩هـ/ ١٦٢٩م)[٦].

---

(١) العصامي، مج٤، ٤٢٧، ٤٧٦.

(٢) العصامي، ٢٨٤/٤، ٢٨٥، للمزيد انظر: ابن القاسم، غاية، ٦٣٢/٢، السباعي، ٣١٠/١ـ٣١١.

(٣) حسن الفقيه وآخرون، "أضواء على كلية المعلمين بالقنفذة، الأربعاء ١٤١٧/١١/٣هـ، إصدار إعلامي بمناسبة زيارة وزير المعارف للكلية يوم الأربعاء (١٤١٧/١١/٣هـ)، غير منشور، (١٤١٧هـ)، ٨، للمزيد انظر: السباعي، ٣١٦/١ـ٣١٧، ٣٤٧/٢.

(٤) النهروالي، ١٧٤، البلادي، ١٢٨.

(٥) العصامي، ٤٦٧/٤، البلادي ١٢٨ـ١٢٩. وذكر العصامي أيضاً في سنتي (١٠١٩هـ/ ١٠٢١هـ) أن شريف مكة أرسل إلى الشريف محسن بن حسين وهو قبل حلي على أن يأتيه بجميع من معه من (الأشراف والقواد والعرب فحضر ومعه أمير حلي ابن بركات الحرامي) كما أورد العديد من التواريخ مثل: (١٠٤٠هـ، ١٠٦٠هـ، ١٠٧٨هـ، ١٠٧٩هـ)، التي ذكر فيها اسم القنفذة وشهرتها التجارية. العصامي، ٣٩٥/٤، ٤٦٩، البلادي، ١١٤ـ١١٥.

(٦) الأزرقي، ٣٥٦/١، ٣٥٧. للمزيد انظر: السباعي، ٣٦٣/٢ـ٣٦٤.

ومما يؤكد تبعية القنفذة للحجاز خلال القرن الحادي عشر الهجري، ترجمة القاضي عبد الواحد الأنصاري التي جاء فيها أنه : " كان رئيس القنفذة وما والاها من أرض الحجاز لا تصدر أمورها إلا عن رأيه "[١] .

وظل الاقتصاد في تلك البلاد مزدهراً حتى تعرضت لأزمة اقتصادية في نهاية القرن الحادي عشر الهجري (السابع عشر الميلادي) نتيجة المجاعة التي أصابت أرض اليمن وتهامة، ومما يؤكد ذلك ما ذكره العصامي بقوله: " في هذا الشهر جمادى الأولى سنة (١٠٧٩هـ/ ١٦٦٨م) تواتر الخبر من جهة أرض اليمن باشتداد الجدب والقحط فيها كالقنفذة وصبيا والتهائم ونواحيها " [٢] .

وفي سنة (١١٠٥هـ/ ١٦٩٢م) جاء خبر قوة الشريف سعد في بندر القنفذة، وأنه أخذ عشورها [٣] ، كما انعقد مجلس مكة المكرمة وحضر الباشا والقاضي والمفتي واتفقوا على إرسال عسكر للقنفذة [٤] . ونجد منذ مطلع القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي) إلى نهاية الربع الأول منه بأن القنفذة كانت ملجأ لبعض أمراء مكة أو قاعدة لبعض الأشراف في غاراتهم على أمراء مكة، مما جعلها تتعرض للكثير من النهب والسلب، وبخاصة في سنة (١١١٦هـ / ١٧٠٤م) حينما أغرى أحد الأشراف رجال قبائل سروية وتهامية بنهب القنفذة [٥] .

ومما سبق يتضح أن القنفذة كانت تستمد نفوذها السياسي والإداري من أمراء مكة المكرمة، حيث كانت تابعة لهم منذ نشأتها . وهذا الأمر ينطبق تماماً على بلدة القنفذة نفسها [٦] ، أما المنطقة بمفهومها الواسع، كما حددناه في القسم الأول من هذا الكتاب[٧] ، فالأجزاء الداخلية منها، والنواحي البعيدة عن الموانئ الرئيسية مثل: دوقه،

---

(١) العصامي، ٤٩٢/٤، البلادي، ١٣١ .
(٢) العصامي، ٥٠١/٤، ٥٠٢ .
(٣) عارف عبد الغني، "تاريخ أمراء مكة المكرمة (من ٨هـ- ١٣٤٤هـ)" (دمشق : مطابع دار البشائر، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ٧٦٩، السباعي، ٣٩٦/٢ .
(٤) عارف عبد الغني، ٧٦٩ .
(٥) أحمد زيني دحلان . خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام (مصر: مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٧هـ)، ١٨٣ . للمزيد عن الأوضاع السياسية في القنفذة في نهاية القرن الحادي عشر ومطلع القرن الثاني عشر الهجريين، انظر: ابن القاسم، ٨٢٩/٢، دحلان، ١٥١، ١٦٠، ١٦٤، البلادي، ١٢٩، السباعي، ٤٠١/٢ وما بعدها .
(٦) السباعي، ٣٦٩/٢ وما بعدها .
(٧) انظر : القسم الأول من هذا الكتاب، الجانب الجغرافي .

وحلي، والبرك وغيرها كانت تأتمر في الدرجة الأولى برأي شيوخها وأعيانها، وكان يغلب عليها فقدان الأمن وانتشار الفوضى في أوطانها . وإذا كان هناك اتصالات وتحالفات بين أمراء مكة وسكان هذه البلاد فغالباً عن طريق الشيوخ والأعيان فقط (١) .

وعند ظهور الدعوة السلفية في نجد، ثم امتدادها إلى بلاد عسير في أوائل القرن الثاني عشر الهجري / الثامن عشر الميلادي على يد أمراء آل المتحمي، وآل عائض (٢)، نجد الحروب تدور سجالاً بين العثمانيين وأشراف مكة وبين السعوديين والعسيريين، وهذا ما سوف نناقشه في الصفحات التالية مع التركيز على دور بلاد القنفذة في تلك الصراعات .

لم يكن للأمير محمد بن عامر أبو نقطة المتحمي (١٢١٥-١٢١٧هـ/ ١٨٠٠-١٨٠٢م) دور بارز في الصراع مع الأشراف على أرض القنفذة، وإنما كان مشغولاً في جبهات عدة بهدف ترسيخ مبادئ الدعوة السلفية في الجنوب، ثم إن فترة إمارته كانت قصيرة (٣) . أما أخوه عبد الوهاب المتحمي (١٢١٧- ١٢٢٤هـ/ ١٨٠٢-١٨٠٩م)، فيعد المؤسس الحقيقي لإمارة المتاحمة (٤)، وكان معاصراً للأمير سعود بن عبد العزيز (١٢١٨-١٢٢٩/١٨٠٣-١٨١٣م) الذي دخل مكة عام (١٢١٨هـ/١٨٠٣م) ويذكر العجيلي (٥) أن عبد الوهاب المتحمي قد خرج من بلاد عسير في حوالي (٥٠٠٠) آلاف مقاتل، نحو مكة لمساعدة الأمير سعود، وسار في أرض تهامة نحو القنفذة التي يتولى أمرها عثمان بن أبي بكر (٦) . وطلب منه الدخول في طاعته، وفتح بلدة القنفذة لهم، لكنه رفض، مما دفع عبد الوهاب إلى محاربته حتى دخل في طاعته، ودخل المدينة عنوة، وهرب الوالي حتى تحصن في جزيرة بالبحر، فحاصره رجالات المتحمي حتى استسلم ودخل في طاعة حكام عسير . ومن ثم استطاعت القوات

---

(١) كانت القبيلة هي العامل الرئيسي في حكم البلاد، ومن يستقرئ أحوال الجزيرة العربية خلال العهود الإسلامية المبكرة والوسيطة والحديثة يجد أن شيوخ القبائل ووجهاءها هم العمود الفقري لحكم أوطانهم، والاتصال بمن جاورهم من العشائر أو القوى السياسية الأخرى .

(٢) آل فائع ٩٩ وما بعدها، عسيري، عسير، ١٢٣ وما بعدها، شاكر، ١٤٦ وما بعدها، للمزيد انظر: العقيلي، المخلاف، ٤٣٣/١ وما بعدها، الجميعي، عسير، ٣٧-٧٥، ابن مسفر، السراج، ٣٣-١٠٤ .

(٣) آل فائع، ١٣٧ - ١٦١، شاكر، ١٤٧ وما بعدها، للمزيد انظر: ابن مسفر، السراج، ٣٣ .

(٤) ابن بشر، ٣٠٢/١، ٣٠٣، ٢٥٩، ٢٨٢ - ٢٨٤، آل فائع، ١٦٥ - ٢٤٦ . انظر: العقيلي، المخلاف، ٤٥٩/١ وما بعدها .

(٥) العجيلي، ٢٠ .

(٦) لم نجد له ترجمة .

العسيرية أن تدخل عموم بلاد القنفذة تحت سيطرتها (١) .

ونجد عدداً من المصادر المعاصرة تذكر حروب عبد الوهاب المتحمي مع الأشراف وبعض القبائل الموالية لهم في نواحي القنفذة مثل : دوقة، والأحسبة، والقنفذة، ويبة، وحلي، والعرضيتين (٢) . وقد أحصاها بعضهم فكانت ثلاث عشرة موقعة حربية في سبعين ليلة مكثتها جيوش المتحمي هناك (٣)، استطاعوا خلالها إدخال عموم بلاد تهامة من الليث حتى تهامة عسير تحت نفوذهم، ثم التقدم نحو الشمال للسيطرة على ما بقي من الحجاز حتى بندر جدة . واتخذ عبد الوهاب المتحمي القنفذة والليث محطات رئيسية له لإعداد العدة والهجوم على قوات الشريف غالب في مكة(٤)، وإدخالها تحت لواء الدولة السعودية الأولى، وتم له ما كان يتطلع إليه حتى استطاع الإمام سعود بن عبد العزيز أن يؤدي مع رجاله مناسك الحج عام (١٢٢١هـ/ ١٨٠٦م) وأن يوطد نفوذه في عموم الحجاز (٥) .

تذمر العثمانيون من توسع السعوديين في نجد والحجاز وعسير، بل ازداد قلقهم بعد سيطرتهم على الحرمين الشريفين، عندئذ كلفوا والي مصر، محمد علي باشا(٦) بالتصدي لهم ومحاربتهم، رحب محمد عليٍ بهذا التكليف رغبة في توسيع نفوذه، فأرسل قواته المتتالية إلى الجزيرة العربية، وتصدى لها السعوديون ومعهم أعداد كثيرة من العسيريين (٧) .

---

(١) العجيلي، ٢٠ . انظر أيضاً / لطف الله بن أحمد جحاف " درر نحور الحور العين من مصادر تاريخ الدولة السعودية الأولى " مجلة العرب، (ج ٩ ـ ١٠ / س / ٢٧/ الربيعان / ١٤٢٣هـ/١٩٩٢م)، ٦٥٦، ٦٥٧ .

(٢) إبراهيم زين العابدين الحفظي، مخطوط في تاريخ عسير . ورقة، ٩، (نسخة منها ضمن مكتبة الباحث)، ابن مسفر . أخبار عسير، ٤٥، آل فائع، ١٦٥ وما بعدها .

(٣) الحفظي، ورقة، ٩ . للمزيد انظر: ابن عبد الشكور، ورقة، ٨٦، مؤلف مجهول . أمراء مكة والحجاز. ، مخطوط ميكروفيلم، جامعة الإمام محمد بن سعود (رقم /٤٤/١) ورقة، ٢ـ٣، شاكر، ١٥٣ .

(٤) للمزيد عن الصراعات بين السعوديين الأوائل وأمير مكة الشريف غالب بن مساعد، ودور العسيريين في ذلك الصراع انظر: السباعي، ٤٤٨/٢، ٤٨٧ وما بعدها .

(٥) ابن عبد الشكور، ورقات، ٩٢، ١٠١، ١٢٢، العجيلي، ٣٧ وما بعدها، الحفظي، ورقات ٩، ١٠ للمزيد انظر : إبراهيم بن صالح بن عيسى . تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد (الرياض : دار اليمامة، د . ت)، ١٣١، محمد بن عمر الفاخري . الأخبار النجدية . تحقيق عبد الله الشبل (الرياض : مطابع جامعة الإمام محمد بن سعود، د . ت) ١٤٣، ابن بشر، ٢٨٥، ٢٨٦، ١٩١، عبد الرحيم، ١٥٦، السباعي، ٥٠٢/٢ .

(٦) المصادر نفسها .

(٧) البهكلي، ٢٩٣ وما بعدها، ابن مسفر، السراج، ٦٨ ـ ٧٦، شاكر، ١٦٠ـ ١٧٤، الجميعي، عسير، ٥٣ـ ٦٥ .

كان الأمير طامي بن شعيب المتحمي (١٢٢٤ـ ١٢٣٠هـ/ ١٨٠٩ـ ١٨١٤م)، قد حل محل ابن عمه عبد الوهـاب المتحمي، وأصبح يسيطر على معظم بلاد تهامة والسراة الممتدة مـن مكة والطائف حتى بلاد عسير [١] . بل تصدى لجيوش محمد علي التي أرسلت إلى سواحـل البحر الأحمر، وبخاصة موانئ منطقة القنفذة التي أشار بوركهارت إلى " أنها أصبحـت خلال الخمس سنوات الأخـيرة. (١٢٢٤– ١٢٢٩هـ/ ١٩٠٦– ١٩١١م) .في يد طامي بن شعيب شيخ عرب عسير أقوى القبائل الجبلية جنوب مكة وأشد المتحمسين من الوهابيين"[٢] . كان محمد علي حريصاً على السيطرة على بلدة القنفذة، لأنها في نظره تعـد المفتاح الرئيسي لبلاد عسـير، وجازان، واليمن، لهذا بعث قـوة بحرية استطاعت دخـول ميناء القنفذة، ثم ترك بها حوالي (١٢٠٠) جندي كحماية عسكرية. وقد وقعت هـذه الحملـة في خطأ كبير حيث تركـوا مصادر المياه العذبـة دون حماية، وعندما علم طامـي بذلك توجـه بقواته التي قدرها ابـن بشر بثمانية آلاف مقاتـل إلى القنفذة [٣]، وحاصرها حصاراً شديداً، واستطاع دخولها وقتل الكثير من الجنود الأتراك المرابطين بهـا . وتشـير بعض المصادر إلى أنـه لم ينج منهم إلا من ركب السفـن وهرب، وغنمت قوات طامي غنائم كثيرة [٤].

وعلى الرغم من هزيمة محمد علي في القنفذة، فإنه لم يستسلم لذلك، وإنما عزم مـرة ثانية على إعادة الكـرة، فأرسل قوة بحرية وأخرى برية إليهـا . وكانت بها حامية مكونة من خمسمائة شخص من عسير، فحاصروهم وأخرجوهم، وعند وصول الأخبار إلى طامـي المتوجه إلى الحجـاز غير اتجاهه إلى القنفذة وحاصرها وتمكن من دخولها وغنـم كثيراً مـن المعدات العسكرية والخيـول التي خلفها رجال محمد علـي باشا أثناء هربهم عن طريق البحر [٥] .

---

(١) المصادر والمراجع نفسها، للمزيد انظر: آل فائع، ٢٤٧ – ٢٦٨ . عسيري، عسير، ١٢٩ وما بعدها.

(٢) جوهـان لودفيـج بوركهـارت . رحـلات في شبـه الجزيـرة العربيـة . تعريـب عبـد العزيـز الهلابـي، وعبد الرحمن آل الشيخ (بيروت : موسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ١٤٥، آل فائع، ٢٧١ .

(٣) ابن بشر، ٣٤٠، ٣٤١ .

(٤) انظر: بوركهارت، ١٤٥، ١٤٦، عبد الرحمن الجبرتي . تاريخ عجائب الآثار في التراجم والأخبار (بيروت: د.ن، د . ت)، ٤٦٣، السيد أحمد مرسي عباس . العسكرية السعودية في مواجهة الدولة العثمانية (الرياض: درا الزهراء، ١٤١٦هـ)، ٨٢ . الجميعي، عسير، ٧٥.

(٥) ابن بشر، ١٥٢، ١٥٣ .

وبعد فشل محمد علي في السيطرة على القنفذة حول مهاجمته لبلاد عسير عن طريق الجبال، فأرسل قوات كثيرة عن طريق الطائف والتقت بالجيوش السعودية في معركة بسل (١٢٣١هـ/ ١٨١٦م) [(١)]، فهزمها هزيمة شنيعة، ثم واصل طريقه جنوباً حتى دخل مدينة أبها، واستولى على بلاد عسير، وقضى على الأمير طامي بن شعيب، وامتد نفوذه غرباً حتى سيطر على بلاد القنفذة [(٢)] .

ترك محمد علي باشا حامية عثمانية في بلاد عسير، وعاد إلى مصر عن طريق الساحل ماراً بالقنفذة حتى مكة وجدة التي عين فيها حسني باشا نائباً عنه [(٣)] . ولم يكد يصل إلى مصر حتى سمع خبر ثورة محمد بن أحمد المتحمي في عسير الذي قام بطرد العثمانيين الذين خلفهم محمد علي فيها [(٤)] . فقام، حسني باشا بإرسال قوتين إلى عسير، إحداهما جاءت عن طريق القنفذة تحت زعامة جمعة أغا، الذي كان هدفه إعادة بلاد عسير تحت نفوذ الدولة العثمانية . ودارت معارك عديدة بين القوى العثمانية والعسيريين، بل امتدت الحروب بانضمام حمود أبو مسمار، حاكم أبو عريش، ووزيره حسن بن خالد الحازمي [(٥)]، إلى العسيريين ضد العثمانيين خلال عصر ثلاثة أمراء من عسير هم : محمد بن أحمد المتحمي (١٢٣٠ـ ١٢٣٤هـ/ ١٨١٤ـ١٨١٨م)، وسعيد بن مسلط (١٢٣٩ـ ١٢٤٢هـ / ١٨٢٣ـ ١٨٢٦م)، وعلي بن مجثل (١٢٤٢ـ ١٢٤٩هـ/ ١٨٢٦ـ ١٨٣٣م) [(٦)] . كما برز أشراف مكة في شخص محمد بن عبد المعين بن عون [(٧)] . الذي

---

(١) بوركهارت، ١٦٨ وما بعدها، ابن بشر، ٣٧٠ وما بعدها، عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم، من وثائق الدولة السعودية الأولى في عصر محمد علي (القاهرة : دار الكتاب العربي، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م) ٢/ ٤٧٧ .

(٢) المصادر والمراجع نفسها . للمزيد من المعلومات عن الكيفية التي قتل بها طامي بن شعيب، انظر: دحلان، ٣٠١، عبد الرحيم . من وثائق الدولة السعودية، ٤٩٢، صلاح الدين المختار . تاريخ المملكة العربية السعودية في ماضيها وحاضرها . (بيروت : منشورات مكتبة دار الحياة، د.ت)، ١٥٠، ١٥١، الجميعي، عسير، ٥٩، العقيلي، المخلاف، ١/ ٥٢٩ـ ٥٣٠ .

(٣) آل فائع، ٢٩٢، شاكر، ١٦٣ .

(٤) ابن مسفر، أخبار، ٧٤، شاكر، ١٦٤ .

(٥) للمزيد عن الصراعات والصلات بين عسير وجازان في عهد الأمير محمد بن أحمد المتحمي، انظر: شاكر، ١٦٤، مسفر، أخبار، ٧٥، آل فائع، ٣٠١ وما بعدها، بلسود، ١١٥ وما بعدها.

(٦) للمزيد عن تاريخ هؤلاء الأمراء الثلاثة، محمد المتحمي، وسعيد بن مسلط، وعلي بن مجثل . انظر: عبد الرحيم، وثائق، ٥٨٥. عسيري، ١٢٣ـ ١٥٧، شاكر، ١٦١ـ ١٨٦، آل فائع، ٢٩٥، ٣٠٢ وما بعدها، الجميعي، عسير، ٦٣ـ ٧٥ .

(٧) الشريف محمد بن عبد المعين بن عون من أحفاد العبادلة أولاد عبد الله بن الحسن أبي نمي الثاني، ويسمونهم (ذوي عون) . جاء من مصر في اليوم الثامن من جمادى الأولى عام (١٢٤٣ـ ١٨٢٧م)، ودخل مكة وتولى الإمارة فيها، ولعب أدواراً متعددة في حروبه وصلاته بسكان جنوب الجزيرة العربية وبخاصة في

كان مسانداً للعثمانيين في حربهم على العسيريين، وأهل المخلاف السليماني [١]، واتضح لنا في تلك الصراعات أن منطقة القنفذة كانت من المعابر الرئيسية لجيوش العثمانيين والأشراف، بل إن حروباً قوية جرت على أرضها بين الأطراف المتنازعة. وغالباً ما كانت بلدة القنفذة تدخل تحت حوزة أمراء مكة والجيوش العثمانية في الحجاز. أما مناطق حلي والبرك، والأجزاء الداخلية من القنفذة مثل العرضيتين وما جاورها فكانت أحياناً تدخل ضمن نفوذ أمراء عسير، وبخاصة في عهدي سعيد بن مسلط، وعلي بن مجثل[٢]. مع العلم أن الأوضاع السياسية بشكل عام في الأجزاء السروية والتهامية كانت متذبذبة، حسب نفوذ القوى السياسية في كل من الحجاز وعسير وجازان [٣].

تولى الأمير عائض بن مرعي السلطة في بلاد عسير، بعد موت الأمير علي بن مجثل عام (١٢٤٩هـ/ ١٨٣٣م)، وسار على نهج أسلافه في إدارة البلاد[٤]. وكان العثمانيون والأشراف في الحجاز يعملون جاهدين للقضاء على آل عائض، وإن أحرزوا بعض النجاح فإنهم لم يستطيعوا لشدة بأس قبائل عسير تحت زعامة عائض بن مرعي[٥]. وفي عام (١٢٥٢هـ/١٨٣٥م) نشب خلاف بين شريف مكة، محمد بن عون، وأحمد باشا قائد القوات العثمانية في الحجاز، والسبب في ذلك يرتكز على الأساليب والخطط التي تم اتباعها من قبل الاثنين للسيطرة على بلاد عسير[٦]، وربما قوة قبائل عسير، وحسن إدارة أميرها عائض بن مرعي، هما السبب الرئيسي الذي كبد الجيوش العثمانية والأشراف خسائر فادحة، مما جعل ابن عون وأحمد باشا يختلفان

بلاد عسير، وجازان وما جاورها. للمزيد انظر: السباعي، ٥١٧/٢ وما بعدها، عسيري، ١٢٩ وما بعدها، العثيمين، تاريخ، ٩/٢-١٣.

(١) انظر: إبراهيم بن علي الحفظي. تاريخ عسير، ورؤية تاريخية خلال خمسة قرون، حققه وعلق عليه محمد بن مسلط بن عيسى البشري (د.م: د. ن، ١٤٠٣هـ) ٨٥، ٨٦، عسيري، ١٣٦-١٥٧، شاكر، ١١/٤ وما بعدها.

(٢) لمزيد من التفصيلات انظر: عسيري، عسير، ١٣٦-١٥٧، ابن مسفر، السراج، ٧٧، شاكر، ١٧٤ وما بعدها، فؤاد حمزة. في بلاد عسير، (الرياض: مكتبة النصر الحديثة، ١٣٧٠هـ/١٩٥١م)، ٩٩ وما بعدها، العقيلي، المخلاف، ٥٠٨/١، ٥٣٦، الجميعي. عسير، ٦٣ وما بعدها.

(٣) المراجع نفسها، للمزيد انظر: الشهري، الحروب التركية، ١٢١ وما بعدها.

(٤) للمزيد انظر: عسيري، عسير، ١٥٨ وما بعدها، ابن مسفر، السراج، ٧٧ وما بعدها.

(٥) المرجعان نفسهما، شاكر، ١٨٧ وما بعدها.

(٦) للمزيد من التفصيلات عن حملات أحمد باشا، ومحمد بن عون على عسير، وما ظهر بينهم من خلافات، انظر: عسيري، عسير، ١٦٠-١٦٢، بلسود، ١٣٩، الشهري، الحروب التركية، ١٤٧ وما بعدها، السباعي، ٥٢١/٢-٥٢٢.

في إدارة جيوشهما، بل أصبح كل واحد منهما يلقي باللوم على الآخر[١]. و نتج عن تلك الخلافات تأخر إرسال الحملات العثمانية إلى عسير حتى عام (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م)، وهذا ما أعطى عائض بن مرعي فرصة تنظيم وتعزيز مواقعه الدفاعية والهجومية، كما سعى القادة العثمانيون إلى إصلاح شؤون ولايتهم في الحجاز وبخاصة بعض موانئ البحر الأحمر، فصدر قرار عثماني ينص على تعيين كاتب مساعد لأمين جمرك القنفذة، لعدم قدرة كاتبها الأول على القيام بعمله على أكمل وجه[٢]. وتم الانتهاء من تحديد العملات المتداولة في ذلك الجمرك[٣]. وفي العام نفسه نجد عائض بن مرعي يأمر وكيله في حلي أن يتعقب الحامية العثمانية هناك ويقبض عليهم، واستطاع وكيله القبض على ثلاثين نفراً منهم في القوز، فاتجه من القنفذة أربع مئة من عساكر العثمانيين لنجدة المقبوض عليهم[٤]. وفي العام نفسه (١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) أرسل إلى محافظ القنفذة (١٤٨٠) شخصاً يحسنون الحرب، إلا أنهم بعد وصولهم ثغر القنفذة مرض نصفهم، وفر بعض من بقي منهم، فتم نقل المرضى إلى مكان يسمى أم الجرم من ضواحي القنفذة[٥]، وتزايد أعداد المرضى حتى أصبحت أعدادهم تتراوح ما بين (١٠-٢٠) مريض يومياً، فكان أن أرسلت لهم الدولة بعض الأطباء للقيام على معالجتهم[٦]. وفي عام (١٢٥٤هـ/١٨٣٨م) نقصت ذخائر ومؤن العثمانيين في جميع الولايات وبخاصة في القنفذة التي كانت بوابتهم الرئيسة في حروبهم مع جازان واليمن وعسير. نجد بعض الوثائق تشير إلى إرسال كميات متتالية من المعدات المختلفة إلى القنفذة[٧]. مع أنه بلغ العثمانيين أنباء عن نية عائض بن مرعي في مهاجمة القنفذة ومصادرة كل ما أرسل إليها من سلاح وعتاد، فأرسلوا بعض الفرق العسكرية لحمايتها وهذا ما جعل "عائض" يتوقف عما كان يسعى إلى تحقيقه[٨].

---

(١) المراجع نفسها .

(٢) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثيقة رقم (٩) المؤرخة في (١٩) محرم (١٢٥٣هـ/١٨٣٦م). دفتر رقم (١٥٦)، تركي مجلس ملكي، درج رقم (١٧٨) .

(٣) المصدر نفسه، للمزيد انظر: الجميعي، عسير، ٧٧ وما بعدها .

(٤) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثيقة رقم (٣٣١)، المؤرخة في (٢٨) جمادى الآخرة، (١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) . محفظة رقم (٢٦١) . عابدين .

(٥) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثيقة رقم (٣٣٤) المؤرخة في رجب (١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) محفظة رقم (٢٦١) عابدين .

(٦) دار الوثائق القومية بالقاهرة، صورة المرفق العربي للوثائق (٣٧٢) المؤرخة في (١٠/٨/١٢٥٣هـ/١٨٣٧م) محفظة رقم (٢٦١) . عابدين .

(٧) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثيقة رقم (٢٣٧) مؤرخة في (١٠/٤/١٣٥٤هـ/١٨٣٧م) محفظة (٢٦٤). عابدين .

(٨) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثيقة رقم (٢٧) مؤرخة في (١٠/٢/١٢٥٤هـ/١٨٣٧م) محفظة رقم (٢٦٣). عابدين .

وفي عـام (١٢٥٤هـ/١٨٣٨م) هاجمت الجيوش العثمانية المتمركـزة في القنفذة بعض أجـزاء من ولايات عسير في تهامة كالبرك، ومحايـل، وحلي، ورجال ألمع وأسروا حوالي (٦٨٠) شخصاً منهم وحجزوهم في بلدة القنفذة، ثم أرسل أحمد باشا إلى بعض قبائل تهامـة عسير، وقـال: " قد أسر من ربعكم كثير من النفوس في هذه الحرب الأخيرة، فهم اليوم رهائن بقنفذة "[١]، فاتجه وفد من مشائخ حلي ومحايل وبارق إلى القنفذة، وتم الاتفاق على إطلاق سراح الرهائن مقابل تقديم الولاء والطاعة للدولة العثمانية[٢].

وتشـير بعض الوثائـق إلى أن عائض بـن مرعي في عام (١٢٥٦هـ/١٨٣٩م) قام بدعـوة القبائل العسيريـة، وحثها على الاستعـداد لحرب الجيوشـ العثمانية، وتجهيز ذخيرة تكفي لمدة شهر ونصف، كما طلب من أفراد القبائل الدعم المادي والمعنوي لتلك الاستعـدادات. وعندما سمع العثمانيون بهذه الأخبار أرسلوا عشر سفن من ميناء جدة إلى القنفذة لتكون على أتم الاستعداد في مواجهة العسيريين، ثم تأكد للقادة العثمانيين أن عائضاً تراجع عن خططه، فأرسلوا سفينة خلف تلك السفن العشر لاسترجاعها[٣]. وفي عـام (١٢٧٢هـ/١٨٥٦م) أرسـل العثمانيون حملـة من الحجاز إلى بلـدة القنفذة وضواحيهـا لمحاربـة بعض رجـال عائض المرابطين هنـاك تحت قيادة علـي بن طامي ابـن شعيب. ودارت الحرب بين الطرفـين، فانهزم العثمانيون وعادوا إلى مدن الحجاز الرئيسيـة. وواصـل علي بن طامي ورجاله السير شمالاً حتـى دخلوا مكة لأداء مناسك العمرة، ثم عادوا إلى رباطهم في القنفذة[٤].

واستمرت الحرب سجالاً بين الأتراك والعسيريين خلال حكم عائض بن مرعي[٥]. وبعد موته عام (١٢٧٣هـ/١٨٥٦م)، خلفه في الحكم ابنه محمد، الذي سار على منهاج سلفـه في الحفاظ على إمارة عسير، والتوسـع في أطرافها حتى امتد نفوذه من الحجاز

---

(١) دار الوثائـق القوميـة بالقاهـرة، وثيقة رقـم (٢٧) مؤرخـة في (١٠/٢/١٢٥٤هـ/١٨٣٧م) محفظة رقم (٢٦٣). عابدين.

(٢) دار الوثائـق القوميـة بالقاهـرة، وثيقة رقـم (٩٣) بدون تاريخ محفظة رقـم (٢٦٣). عابدين. للمزيد عن صراعـات العثمانيين مـع العسيريين في عهد عائض بن مرعي، انظر: الشهـري، الحروب التركية، ١٤١-١٦٢، ابن مسفر، السراج، ٨٣، السباعي، ٥٢١، عسيري، عسير، ٢٠١ وما بعدها، محمود شاكر، ١٩٠ وما بعدها.

(٣) دار الوثائـق القومية بالقاهرة، وثيقة رقم (١٥٥) المؤرخة في (٨) صفر (١٢٥٦هـ/١٨٣٩م)، محفظة رقم (٢٦٩). عابدين.

(٤) شاكر، ١٩٨.

(٥) للمزيد انظر: ابن مسفر، أخبار ٨٥ وما بعدها للمؤلف نفسه، السراج المنير، ٨٣، عسيري، عسير، ٢٠١ وما بعدها، شاكر، ١٩٠ وما بعدها، الشهري، الحروب التركية، ١٣٩ وما بعدها. باشا، مذكرات، ٩٣.

شمالاً إلى عدن جنوباً، ومن البحر الأحمر غرباً إلى الربع الخالي شرقاً [١] . وتذكر بعض المصادر، أنه في عام (١٢٨١هـ/ ١٨٦٤م)، قام والي الحجاز العثماني بإرسال قوة كبيرة إلى عسير تحت قيادة الشريف عبد الله بن محمد بن عون وإسماعيل بك، فسارت عن طريق تهامة واستولت على أجزاء عديدة من بلاد القنفذة، وعندما وصلت "حلي" اصطدمت بجيوش محمد بن عائض فانهزمت وعادت أدراجها إلى الحجاز[٢]. وكان الشريف عبد الله بن عون يسعى دائماً إلى إشعال نار الفتنة بين العثمانيين والعسيريين [٣]، ومن ثم بقيت بلاد القنفذة ميداناً للصراع بين الطرفين . فأحياناً يمد محمد بن عائض نفوذه إلى بلدة القنفذة ودوقة والليث وربما وصل إلى مكة، وأحياناً أخرى يتراجع إلى بلاد بارق ومحايل والبرك وحلي[٤]. وأخيراً رأى العثمانيون ضرورة توحيد جهودهم والسيطرة على منطقة عسير، والقضاء على ابن عائض الذي هدد وجودهم في أجزاء عديدة من جنوب شبه الجزيرة العربية [٥] . فأرسلوا جيوشاً عديدة اتجهت من الحجاز جنوباً عبر الجبال والساحل، وكانت حملاتهم التي جاءت عن طريق تهامة يقودها محمد رديف باشا، ووصلت إلى القنفذة في (٢٠) شوال عام (١٢٨٨هـ/ ١٨٧١م)، وتقدمت إلى حلي ابن يعقوب، ثم محايل حتى جبال عسير عن طريق عقبة شعار[٦]، كما وجه محمد رديف قسماً من جنده المرابط في القنفذة تحت قيادة أحمد مختار باشا فساروا في البحر حتى ميناء الشقيق في منطقة جازان، ثم اتجهوا إلى أعالي بلاد السراة عن طريق وادي مربة. وكان دليل الطريق ما بين الشقيق وأعالي بلاد عسير، شيخ حلي بن يعقوب[٧] .

---

(١) شاكر، ٢٠٦-٢١١، للمزيد انظر: عسيري، عسير، ٢٨٤ وما بعدها، ابن مسفر، السراج، ٩٢-١٠٤، الجميعي، عسير، ٨٣ وما بعدها .

(٢) الحفظي، تاريخ، ١١٢، ١١٣، للمزيد انظر: محمد محمود السروجي ."سياسة مصر العربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر "، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية . مج(٩) (ديسمبر /١٩٥٥م)، ٩٧ وما بعدها، الجميعي، عسير، ٩٤ .

(٣) المراجع نفسها .

(٤) انظر : عسيري، عسير، ٢٨٥ وما بعدها، ابن مسفر، السراج، ٩٢ وما بعدها .

(٥) الجميعي، عسير، ٨٥ وما بعدها، الشهري، الحروب التركية، ١٦٤ وما بعدها .

(٦) لمزيد من التفصيلات عن حملات الجيوش العثمانية على منطقة عسير في عهد الأمير محمد بن عائض بن مرعي، انظر: الجميعي، عسير، ٨٤ وما بعدها، عسيري، عسير، ٢٨٨ وما بعدها، الشهري، الحروب التركية، ١٦٣ وما بعدها .

(٧) شاكر، ٢١٦ .

وأخيراً حاصر العثمانيون مراكز آل عائض الرئيسية في أبها وما حولها، واستطاعوا في نهاية الأمر القضاء عليهم عام (١٢٨٩هـ /١٨٧٢م)، وسيطروا على مدينة أبها فجعلوها مركزاً للمتصرفية العثمانية في عسير [١]. وأصبحت تتبعها المنطقة الممتدة من زهران والقنفذة شمالاً إلى جازان وظهران الجنوب في بلاد قحطان جنوباً حوالي نصف قرن من الزمان (١٢٨٩ـ ١٣٣٧هـ /١٨٧٢ـ ١٩١٨م) [٢]. بل صارت بلدة القنفذة هي الثغر الرئيسي لهم فهي تربط بين مراكزهم وإدارتهم الرئيسية في عموم منطقة عسير، وبين الحجاز والشام ومصر والآستانة [٣]. ولا نجد للعثمانيين أعمالاً إيجابية واضحة تذكر في منطقة القنفذة، مع استمرار حكمهم للبلاد عقوداً عديدة [٤]، إلا أنهم فقط يعينون من أبها أو الحجاز، أو الآستانة من يتولى شؤون إدارة ومالية بلدة القنفذة، ويسوسونها لمصلحتهم، وذلك لأهميتها الاستراتيجية عسكرياً وتجارياً [٥]، مع ترك جميع أجزاء بلاد القنفذة تغرق في الفتن والصراعات القبلية المحلية المستمرة [٦]، ونجد متصرف عسير سليمان شفيق باشا (١٢٢٦ـ ١٣٣٠هـ/١٩٠٨ـ ١٩١٢م) [٧]، يترجم السياسة التي سلكتها الدولة العثمانية في منطقة عسير ومراكزها الرئيسية مثل القنفذة وغيرها فيقول: "وفي الواقع أن الدولة لم تصنع شيئاً غير تحصيل الزكاة من الأهالي بين حين وآخر، ولم تفكر قط في إيجاد أسباب العمران لإحياء هذه الجهات، ولم تتذرع بشيء من ورائه نفع للأهالي، وليس لها برنامج معين يسير عليه رجالها وموظفوها الذين يأتون إلى هذه البلاد وهم لم يستطيعوا أن يفهموا الأمور التي يحتاج الشعب إليها . ولم يدرسوا أسباب ثورة الأهالي وتمردهم على الدولة، ولم يستطيعوا أن يقروا

---

(١) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثيقة رقم (١٥٦) مؤرخة في (١٩) جمادى الأولى (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م)، رقم (١٨٠)

(٢) وعن إدارة العثمانيين لبلاد عسير بعد القضاء على محمد بن عائض انظر: سعيد محمد مفرح . الإدارة العثمانية في متصرفية عسير (١٢٨٨ـ ١٣٣٦هـ/ ١٨٧٢ـ١٩١٨م) رسالة ماجستير غير منشورة، مقدمة إلى قسم التاريخ في كلية الآداب بجامعة الملك سعود (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ٢٣ وما بعدها .

(٣) انظر : باشا، مذكرات ٣٩، ٤٠، الجميعي، عسير، ٩٧ وما بعدها، بلسود، ٢٥٦ وما بعدها.

(٤) سعيد مفرح، الإدارة، ٢٨ وما بعدها، للمزيد انظر: ابن جريس، صفحات، (١+٢)، ٩١ـ١٢٠، ٢٣٥ـ٢٧٤، الجميعي، عسير، ٩٧ وما بعدها، شاكر، ٢١٧وما بعدها .

(٥) ابن مسفر، السراج، ١٠٦، باشا، مذكرات، ٣٩، ٤٠ .

(٦) انفلت زمام الأمن في منطقة عسير خلال فترة الحكم العثماني (١٢٨٩– ١٣٣٧هـ/١٨٧٢–١٩١٨م)، كما قام بعض رجال آل عائض بالعديد من الثورات ضد الجيوش العثمانية، إلا أنهم لم يفلحوا في طردهم، وكانت قبائل المنطقة غير راضية عن حكمهم فنجدهم في صراعات مستمرة معهم . للمزيد انظر: شاكر، ٢١٩– ٢٣٢، ابن جريس، صفحات، (١+٢ / ٩١– ١٢٠، ٢٣٥ – ٢٧٤، الجميعي، ٩٨ وما بعدها، ابن مسفر، السراج، ١٠٥– ١٠٧.

(٧) انظر : باشا، مذكرات، ٩ .

الأمـن، بل تركوا الناس وشأنهم يحارب بعضهم بعضـاً والحكومة واقفة تتفرج عليهم، وكانت وظيفتها مقصورة على حراسة نفسها في الأماكن التي استولت عليها وأقامت فيها "[١]. ويقـول أيضاً: "إن الدولة العثمانية التي احتلت عسير منذ أربعين عاماً اكتفت بان اتخـذت لنفسها بضعة مراكـز عسكرية، وكانت صلتها بالأهـالي مقصورة على قيامها ببعض الحركات العسكرية بين حين وآخر لجباية الـزكاة، أما اختلافات الأهالي فيما بينهـم فكانـت الحكومة في معزل عنها، ويـا للأسف فكان الناس يـرون أنهم لا حكومة لهـم، وأنهم مسلوبـو الراحة والأمن العام وهم ينتظرون الفـرج بعد ظهور رجل مصلح يتـولى فيهـم أمر الحكـم "[٢]، إن العواقب الأليمـة التي وصلت إليهـا الدولة العثمانية كان سببهـا التمسـك الشديد بطريقـة الحكم المركزي، والإعراض عن طريقة الحكم اللامركـزي، فلـم تدرس الدولـة يوما ما شيئاً مـن أسباب وعوامل الثـورات الداخلية، ولا استعملـت للـداء دواءً، وكانت تعمـد في كل وقت إلى قمع كل حركـة بالقوة القاهرة، وإذا حـدث حادث في إحدى الولايات ووردت البلاغات به إلى العاصمة، كانت العاصمة تماطـل الأمر باستعلامات لا لزوم لها وتعرض عـن آراء الموظفين المحليين، وترسم من عندها الخطط المحكوم عليها بالعقم والمؤدية إلى الخسران في أكثر الأحوال[٣].

وقـد استولى محمد الإدريسـي[٤] على بلاد صبيا ونواحيهـا في الفترة التي أصبح سليمان شفيـق باشا حاكما لعسير عام (١٢٢٦هـ /١٩٠٨م)، وبدأ نفوذه يتزايد، وصار متصرف عسير (سليمان شفيق) يخشاه ويحذر الأتراك من تنامي قوته، ومن ثم أقنع العثمانيين بإرسال قوة إلى عسير وجازان كي توقف الإدريسي عن التوسع لو فكر القيام بثـورة ضدها، فأرسلوا قوة قوامها (٣٠٠٠) رجل نزلت في ميناء القنفذة، وكانت رغبة متصرف عسير لو أنها قدمت إلى ميناء جازان حتى تكون قريبة من نشاطات الإدريسي السياسيـة والعسكريـة[٥]. لكن الإدريسـي استطاع أن يقنع الأتـراك بعدم جدوى تلك الحملـة التي استقرت في القنفذة، وكذلك عدم صحة مـا ذكر عن طموحاته وخطورته علـى العثمانيـين، وبالفعل اقتنع الأتراك بمـا ذكر الإدريسي، وأعـادوا تلك القوات إلى

(١) المصدر نفسه، ١١٩-١٢٠ .
(٢) المصدر نفسه، ٣٤ .
(٣) المصدر نفسه، ١٨٢ .
(٤) انظر : ابن مسفر، السراج، ١٠٩، الجميعي، الأدارسة، ٥ وما بعدها، شاكر، ٢٣٣ وما بعدها
(٥) المراجع نفسها، انظر : أيضا، العقيلي، المخلاف، ٢/٦٥٥ وما بعدها .

الحجـاز ومصر[١] . كما اقترح متصـرف عسير أن تكون الشقيق هـي الميناء الرئيسي لبـلاد عسـير بدلاً من القنفذة البعيدة جداً عن مقر المتصرفيـة في أبها، بالإضافة إلى صعوبـة الطـرق بين ذلك الميـنـاء ومركز المتصرفيـة. غير أن هذا الاقـتـراح لم يناسب الإدريسـي لأن الحمـلات العثمانية في هذه الحالة تجتاز منطقـة نفوذه، لذا رفض هذا الـرأي واحتج برجـال القبائل الذين لن يقبلوا نزول الجنـد في الشقيق[٢]، وكان يهدف بهذه الذرائع الرغبة في الاستقلال، وإضعاف سليمان شفيق باشا في أبها .

بـدأ الإدريسـي يفكر في توسيع نفـوذه، فاتصل بالطليان الذيـن كان لهم وجود في البحر الأحمر، وبخاصة في موانئ إريتريا وإثيوبيا[٣]، فطلب منهم المساعدة[٤]، كما ثار ضـد الأتراك، وبايعه أهالي صبيا وكثير من وفود القبائل في تهامة، وبعض قبائل عسير وبخاصة الذين كانوا يخافون من أطماع شريف مكة، الحسين بن علي، الذي كان يتطلع إلى مد نفوذه إلى بلادهم[٥] .

وفي عـام (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) نجد الدولـة العثمانية تعقد اتفاقية مـع الإدريسي عرفـت بـ (اتفاقية الحفائر) ، اعـترف فيها الإدريسي بالتبعية للعثمانيين مقابل منحه رتبـة قائم مقام صبيا، واعتباره موظفاً عثمانياً على المنطقة الممتدة من صامطة جنوباً إلى حلـي شمـالاً، على شرط أن يعين العثمانيون مأموري جمـارك لهم في بلاد : القوز، والـبرك، والشقيق، كما تلغى الضرائب المفروضـة من الدولة العثمانية ويستعاض عنها بالـزكاة الشرعية[٦]. وهـذه الاتفاقية كانت في صالح الإدريسـي حيث تم الاعتراف به رسمياً، مما ساعده على تحقيق رغباته في التوسع في أجزاء من تهامة والسراة، وتزايد العداء بينه وبين المتصرف العثماني في عسير.

---

(١) شاكر، ٢٣٥-٢٣٦، باشا، مذكرات، ٣٦، ٣٧ .

(٢) شاكر، ٢٣٦ . للمزيد . انظر: الجميعي، الأدراسة، ١٥، باشا، مذكرات، ٤٠، ٤١ .

(٣) للمزيـد عن نفـوذ إيطاليا في سواحل البحر الأحمر الغربية وبخاصة في بـلاد إثيوبيا وإريتريا وما جاورها، انظـر، محمـد الطيب يوسف اليوسف . اثيوبيا والعروبة والاسلام (مكة المكرمة : المكتبة المكية، ١٤١٦ هـ / ١٩٩٦ م) جـ٢، ص ٢٥٢ وما بعدها .

(٤) انظر : الحفظي، تاريخ ، ١٦٥، ١٦٦، باشا، مذكرات، ٤١، الجميعي، الأدارسة، ١٥، بلسود، ١٨١ .

(٥) شاكـر، ٢٣٧، باشـا، مذكرات، ٥٠ ، كان الشريف الحسين بن علـي يسعى إلى توسيع نفوذه والسيطرة على بـلاد عسير والمخـلاف السليماني، وهذه الرغبة كانـت عند أشراف مكة من قبله، وقـد لاحظنا ذلك عند محمـد بـن عون وابنه عبـد الله اللذين كانا يسعيان إلى السيطرة على عسـير، وقد نجح محمد بن عون في أكـثر من مـرة . للمزيد انظر: السباعـي، ٥١٧/٢، ٥٩٧ وما بعدهـا، عسيري، ١٣٠ ومـا بعدها، العثيمين، تاريخ، ٩/٢ .

(٦) العقيلي، المخلاف، ٦٦٥/٢-٦٦٧ .

بدأ سليمان شفيق باشا (المتصرف العثماني في عسير) يواصل اتصاله بالدولة ويخبرها ببعض نشاطات الإدريسي التوسعية، فعملت على إرسال بعض القوى العسكرية لمحاربته عن طريق ميناء جازان، لكن محمد الإدريسي تصدى لها وهزمها، ودخل جازان وطرد الجيوش العثمانية، التي خرجت من ميناء جازان إلى فرسان، ثم واصلت سيرها في البحر إلى القنفذة، واستطاع أن يمد نفوذه شمالاً في تهامة حتى استولى على البرك وحلي، وأصبح يحاصر بلدة القنفذة من الجنوب (١) . كما استعان بالبحرية الإيطالية التي قامت بضرب السفن العثمانية الراسية في القنفذة، لكن القوات العثمانية لم تستسلم للإدريسي، ولم يستطع الدخول إلى القنفذة (٢) .

رغب أمراء آل عائض في عسير، ومعهم بعض القبائل العسيرية التعاون مع الإدريسي في محاربة الأتراك في بلادهم، والقضاء على متصرفهم سليمان شفيق باشا فأعدوا العدة وساروا جميعاً إلى محاصرته في مدينة أبها(٣) . واستطاع الإدريسي فرض حصار على العثمانيين في أبها دام ثمانية شهور (٤) . ومن ثم لم يكن أمام الدولة العثمانية إلا تكليف شريف مكة الحسين بن علي بالذهاب إلى أبها لمساعدة حاكمها، سليمان باشا، وفك الحصار عنه . وطلب من قائد الحامية العثمانية في القنفذة، نشأت بك أن ينضم وجنده إلى حملة الشريف عندما تصل إليه، وأمدته الدولة ببعض الجند والأسلحة(٥). وفي عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) وصلت الأنباء خروج الشريف حسين بن علي من الحجاز إلى القنفذة براً ومعة سبع (أورطات) (٦). من الجنود، وبطاريتان من المدافع وقوة مجهزة تجهيزاً كاملاً قبل وصول الشريف حسين إلى القنفذة بيومين(٧).

---

(١) العقيلي، المخلاف، ٢/٦٧١ ـ ٦٧٣، بلسود، ١٨٧، ١٨٨ .

(٢) شاكر، ٢٣٨ ـ ٢٣٩، العقيلي، المخلاف، ٢/٦٧٣، ٦٧٤ .

(٣) للمزيد انظر: باشا، مذكرات، ٦٤ وما بعدها، الجميعي، الأدارسة، ١٥، ابن مسفر، السراج، ١١١ .

(٤) هناك اختلاف في مدة الحصار، فابن مسفر يذكر تسعة شهور، والجميعي يذكر سبعة شهور، والصحيح تقريباً تسعة شهور، أي من شهر ذي القعدة عام (١٣٢٨هـ/ ١٩١٠م) إلى شهر رجب عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م)

(٥) شاكر، ٢٤١ . للمزيد انظر: ابن مسفر، السراج، ١١٠ . وافق الشريف حسين بن علي على نجدة متصرف عسير، لأنه كان يتطلع إلى توسيع نفوذه إلى عسير وغيرها، كما تظاهر أمام العثمانيين بأنه موالٍ لهم، وأنه في صفهم، مع أنه يسعى في قرارة نفسه إلى محاربتهم والوقوف إلى جانب بريطانيا وحلفائها ضدهم . للمزيد انظر: السباعي، ٢/٥٩٧ وما بعدها، العثيمين، تاريخ، ٢/١٣ـ١٤، وما بعدها .

(٦) أورط : أي بلوك تطلق على القطعة العسكرية وقد ظل هذا التعبير مستخدماً في التشكيلات العسكرية العثمانية حتى عام (١٩٠٨م) ثم ألغي . انظر: عزيز سامح التر . الأتراك العثمانيون في شمال إفريقيا . ترجمة محمود علي عامر. ط١(د . م: د . ن، ١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، ١٣١.

(٧) باشا، مذكرات، ٧٢، شاكر، ٢٤٢ـ٢٤٣ .

أشاع الإدريسي أن وساطة الصلح بين الدولة العثمانية وبينه كانت هي قدوم الشريف حسين بن علي إلى عسير، فطلب المتصرف العثماني من الشريف حسين بن علي أن يدخل بكامل هيبته، ويظهر قوته كي يلغي ما نشره الإدريسي عنه، إضافة إلى تفادي اشتباك القبائل معه، فأسرع الشريف حسين بن علي بالتحرك من القنفذة وهاجم مكاناً بالقرب منها يسمى قوز بلعير، وأسفرت المعركة عن هزيمة الشريف حسين بن علي أمام الثوار وسقطت ذخائر ومؤن جيشه في أيدي جند الإدريسي، وقد أثبت هذا الحدث للشريف حسين بن علي أن مهمته ليست بالأمر السهل، وذلك لعدم موالاة القبائل له [١]، إذ إن الإدريسي عمل على تدعيم هذه المعارضة واستنهاض القبائل من صامطة إلى البرك إضافة لقبائل حلي وقنا والبحر ضد الشريف والحامية المحاصرة في أبها [٢]، فعاد الشريف حسين إلى القنفذة عازماً على ترتيب جيوشه، وانتظار القوات المساندة لإكمال الحملة المتجهة إلى عسير [٣].

وتشير بعض المصادر المعاصرة إلى تفاصيل الحروب التي دارت بين الطرفين وإلى استعدادات كل منهما تجاه الآخر [٤]. كما أمر الشريف حسين بعض السفن الحربية العثمانية في القنفذة بالتوجه لضرب موانئ الإدريسي وهذا مما يجعل بعض القبائل تنضوي تحت لواء الشريف [٥]، مع أن القبائل القاطنة إلى الجنوب والجنوب الشرقي لبلدة القنفذة، مثل عشائر العرضيتين وبارق ومحايل، وحلي، والبرك، والقحمة وغيرها كانت من أشد القبائل مناصرة للإدريسي [٦]، وبعد جولات حربية عديدة قاسية بين الطرفين استطاع الشريف حسين أن يدحر الإدريسي ويتغلب عليه، ثم يواصل زحفه حتى دخل مدينة أبها، ويفك الحصار الذي ضربه الإدريسي عليها لعدة شهور [٧].

---

(١) باشا، مذكرات، ٧٢، ٧٣.
(٢) العقيلي، المخلاف، ٢/٦٩٤.
(٣) باشا، مذكرات، ٧٣، شاكر، ٢٤٢-٢٤٣.
(٤) شرف بن عبد المحسن البركاتي، الرحلة اليمانية. تحقيق عبد الله عبد الرحمن بن إلياس (بيروت: دار نشر تراث العرب، ١٣٨٦هـ)، ٤٥ وما بعدها. للمزيد عن نشاطات الإدريسي الحربية في حلي والبرك ومحايل ورجال ألمع والشقيق، انظر: الجميعي، عسير، ١٠٨، ١١٧، للمؤلف نفسه، الأدارسة، ١٦، ابن مسفر، السراج، ١١١
(٥) البركاتي، ٧٠، العقيلي، المخلاف، ٢/٦٩٤ وما بعدها.
(٦) لمزيد من التفصيلات عن مناصرة تلك القبائل للإدريسي، انظر: البركاتي، ٧٠ وما بعدها، العقيلي، المخلاف، ٢/٧٠٠.
(٧) شاكر، ٢٤٢-٢٤٣، ابن مسفر، السراج، ١١٢، الجميعي، الأدارسة، ١٦.

استعاد متصرف عسير بعض قوته في بلاد عسيرٍ، ورجع الإدريسي إلى مقر إقامته في صبيا، لكنه لم يقف عن محاولة توسيع نفوذه شمالاً في تهامة عسير حتى القنفذة[١]. كما بدأت الحرب بين الدولة العثمانية وإيطاليا في عام (١٣٢٩هـ/ ١٩١١ م)، وتعاون الإدريسي مع الإيطاليين الذين قاموا بضرب موانئ البحر الأحمر الشرقية مثل : ميدي، والقحمة والبرك والقنفذة، والحديدة[٢]. وأعلن الإدريسي الحرب على الدولة العثمانية، وانضمت له قبائل رجال ألمع، وقنا، والبحر، ومحايل، وبارق، والبرك، وحلي، والقنفذة[٣]. حيث وصلته الأسلحة الحربية من إيطاليا عن طريقٍ مينائي البرك وجازان[٤]. وقامت السفن الإيطالية بقصف الجيوش العثمانية بحراً، وعندما علم متصرف عسير بوصولهم إلى القنفذة أرسل قوة عسكرية للاستيلاء على محايل ذات الموقع الاستراتيجي المميز الذي يربط بين عسير وميناء القنفذة في حين أوصى الإدريسي أحد قادته بالمرابطة في جهة حلي ريثما تصل الأساطيل الإيطالية إلى ميناء القنفذة[٥].

عندما ازداد هجوم الإدريسي على القوات العثمانية في القنفذة براً وقصف الإيطاليين بحراً، لم يجد متصرف عسير بداً من الاتصال بوزارة الحربية وإعلامهم أن معالم الثورة اتضحت في تمنية وقحطان وربما تشعل جبهة أخرى ضد الدولة العثمانية[٦] . وأنه بحاجة إلى قوة عسكرية جديدة لإكمال تلك الحرب . حيث اشتدت الحرب على القنفذة، لذا وافقت الوزارة على إرسال أورطتي الجيش الكائنتين بالحجاز بقيادة فيصل بن الحسين بن علي[٧] للوصول إلى القنفذة غير أنهم عسكروا في القوز الذي يتمتع بمزايا استراتيجية، إذ يقع على طريق صبيا والحجاز، خاصة بعد أن تجاوزت نفوذ وسلطة الإدريسي قبائل وادي حلي إلى القنفذة، ودوقة ، والليث[٨].

---

(١) العقيلي، المخلاف، ٦٩٤/٢ وما بعدها .

(٢) العقيلي، المخلاف، ٧٠٧/٢، ٧٠٩، بلسود، ١٩٨ .

(٣) العقيلي، المخلاف، ٧٠٧/٢، شاكر، ٢٤٣ .

(٤) العقيلي، المخلاف، ٧٠٨/٢ .

(٥) المرجع نفسه، ٧٠٧/٢، ٧٠٨، ٧٠٩ .

(٦) المرجع نفسه، ٧٠٩/٢ .

(٧) بلسود، ١٩٨، للمزيد من التفصيلات عن حرب الدولة العثمانية والأشراف في الحجاز مع كل من الإدريسي وإيطاليا، ومكانة منطقة القنفذة في تلك الصراعات انظر: العقيلي، ٧٠٠/٢ وما بعدها، ابن مسفر، السراج، ١٠٩ وما بعدها، الجميعي، الأدارسة، ١٦ وما بعدها، شاكر، ٢٤٣-٢٤٤ .

(٨) (٣) العقيلي، المخلاف، ٧١٤/٢، ٧١٥ .

عملت الحكومة العثمانية على تطويق الإدريسي من جميع الجهات لمنع اتصاله بإيطاليا لتزويده بالسلاح، فقد زحف فيصل بن الحسين بن علي من محايل، ومتصرف عسير مع القبائل العسيرية من أبها، وسعيد باشا من الجنوب [١].

واثناء وجود فيصل بن الحسين مع رجاله في محايل قصف دار قائد الإدريسي فيها وهاجم قنا والبحر إلا أنهم اضطروا للتراجع إلى محايل تحت ضغط الهجوم الكاسر [٢].

وصلت للإدريسي أخبار باستيلاء القوات السابقة على السلاح والذخائر فاستنجد الإدريسي بقبائل جبال فيفا والحسيني وصبيا، وأخبرهم أن العثمانيين يأخذون ما يرده من هدايا من السيد أحمد السنوسي [٣]. فنصبت تلك القبائل كميناً للقافلة العثمانية الذاهبة من القنفذة إلى أبها، وأخذوا ما على جمالها من ذخيرة وعتاد ومؤن، فاقتفت أثرهم القوات العثمانية والأشراف حتى لحقوا بهم في وادي الشقيق، وهزم أتباع الإدريسي هناك [٤].

ووجد الإدريسي نفسه أمام قوة عسكرية كبيرة فطلب المدد الحربي من إيطاليا فوصلت الأساطيل الإيطالية وبدأت مدافعها تضرب الجنوب دون تفريق بين جنود الإدريسي والجنود العثمانيين، وأغرقت إيطاليا أربع سفن عثمانية من سفن خفر السواحل التي كانت موجودة في مرفأ (القنفذة) إضافة إلى أنها أسرت سفينة خارج الميناء، وفي تصرف غير لائق وجهت مدافعها تجاه المنازل فقتلت خمسة وعشرين من الأهالي، أما الحامية العثمانية فكانت تحتمي في خنادقها [٥].

ساعد الإدريسي في التغلب على العثمانيين في عسير، وقصف ميناء القنفذة ما كانت تقوم به القوات الإيطالية من ضرب الموانئ اليمنية المواجهة لمستعمراتها في إريتريا، وقامت بضرب ميناء (جازان) ، فأسرعت الدولة العثمانية بإخلائه من الجند

---

(١) المرجع نفسه ، أنظر : أيضاً، بلسود ١٩٩ .

(٢) العقيلي، المخلاف، ٧٠٨/٢، ٧١٨ .

(٣) السيد أحمد الشريف بن محمد بن علي السنوسي الخطابي . من كبار رجال الطريقة السنوسية المعروفة في المغرب، ولد وتفقه في الجنوب في عام (١٢٨٤هـ/١٨٦٧م) ، قاتل الإيطاليين أثناء هجومهم على طرابلس وعقد الصلح بين إيطاليا والعثمانيين، ورحل إلى الحجاز، رفض الفرنسيون بقاءه في دمشق، فأكرمه الملك عبد العزيز آل سعود، وأقام في ضيافته بالمدينة ومكة إلى أن توفي بالمدينة في عام (١٣٥١هـ/١٩٣٣م) ، الزركلي، الأعلام . ١٣٥/١، بلسود، ١٩٩ .

(٤) بلسود، ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

(٥) باشا، مذكرات، ١٤٩، بلسود، ٢٠٠، العقيلي، المخلاف، ٧٠٧/٢، ٧٠٩، الجميعي، الأدارسة، ١٩.

فقط، إذ لم يسمح لها ضيق الوقت، وقلة وسائل النقل أن تنقل غيرهم إلى (الحديدة)، فخلفت وراءها العديد من المؤن، والأسلحة، والخيام، والبغال التي كانت معدة لحملة عسكرية مكونة من خمسة وعشرين طابوراً، فدخل الإدريسي (جازان) واستولى على كل ذلك، وبقيت في يده كل من : جازان ، وميدي ، والشقيق ، والبرك ، و القوز، بما فيها من مدافع وذخائر وأسلحة [١] .

قامت الحرب العالمية الأولى (١٣٣٣هـ/١٩١٤م)، واشتركت الدولة العثمانية فيها، وانشغلت عن الجزيرة العربية، بما فيها منطقة تهامة التي تقع تحت يد الإدريسي [٢]، والممتدة من البرك وحلي وبارق والعرضيتين شمالاً إلى جازان وميدي جنوباً [٣] . وانقطعت العلاقة فجأة بين الإدريسي وإيطاليا [٤]، مما جعله يعقد صداقة مع بريطانيا كي تحميه وتدافع عنه . وأبرم معاهدة رسمية معها في عام (١٣٣٤هـ/١٩١٥م)، وجددت أيضاً عام (١٣٣٦هـ / ١٩١٧م) [٥]. واعترفت له بريطانيا بموجبها بالسيادة على تهامة من ميناء اللحية جنوباً إلى القنفذة شمالاً، كما تعهدت له بحمايته من أي عدوان خارجي، وتعهد هو بعدم عقد أي معاهدة سياسية أو تجارية مع دولة أخرى دون علمها [٦].

---

(١) العقيلي، المخلاف، ٢/٧٢٦، بلسود، ٢٠٠، للمزيد انظر: مبارك محمد الحرشني . النظم الإدارية والمالية في تهامة عسير خلال الإشراف السعودي (جدة : دار العلم للطباعة والنشر، ١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، ٤٢، الجميعي، الأدارسة، ٢٣ .

(٢) للمزيد عن أحداث الحرب العالمية الأولى، والدور الذي لعبته الدولة العثمانية وبريطانيا وبعض القوى السياسية المحلية في الجزيرة العربية مثل: الأشراف في الحجاز، والأدارسة وآل عائض في تهامة وعسير، انظر:، خير الدين الزركلي . شبه الجزيرة العربية في عهد الملك عبد العزيز (بيروت: د.ن، ١٣٩٠هـ) ٢/٥٢٩ وما بعدها، فؤاد حمزة، قلب جزيرة العرب (القاهرة: د.ن، ١٣٥٢هـ)، ٣٥٦ وما بعدها، العثيمين، تاريخ، ٢/١٨ وما بعدها .

(٣) العقيلي، المخلاف، ٢/٧٢٧، الحرشني، النظم، ٤٢، بلسود، ٢٠٠ .

(٤) تخلت إيطاليا عن مساعدة الإدريسي .

(٥) شاكر، ٢٤٤، العقيلي، المخلاف، الجميعي، الأدارسة، ١١٢ . بعض المراجع العربية ذكرت أن تلك المعاهدتين اللتين عقدها الإدريسي مع بريطانيا كانتا عامي (١٣٣٣هـ/١٩١٤م)، (١٣٣٥هـ/١٩١٦م)، والصحيح ما تم ذكره في المتن . انظر: العثيمين، ٢/٢٣ .

(٦) حمزة، قلب جزيرة العرب، ٣٥٨، الزركلي، شبه، ٢/٥٣٤، الجميعي، الأدارسة، ١١٢، شاكر، ٢٤٤-٢٤٥، العقيلي، المخلاف، ٢/٧٢٧، ٧٢٨ . للمزيد عن نشاطات بريطاني في الجزيرة العربية وبخاصة مع حكام اليمن، وتهامة وعسير، انظر: محمود صالح منسي . حركة اليقظة العربية في الشرق الآسيوي (القاهرة : دار الفكر العربي، ١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ٢٤٩، بولدري جون . العمليات البحرية البريطانية ضد اليمن إبان الحكم التركي (١٩١٤-١٩٩٩م) . ترجمة السيد مصطفى سالم (القاهرة : المطبعة الفنية، د.ت)، ١٨، ١٩ بلسود، ٢١٢، ٢١٠.

واصل الإدريسي تصديه للدولة العثمانية في حدود المنطقة المعترف به عليها من قبل بريطانيا، واتجهت عملياته العسكرية شمالاً من بلدة القنفذة وما جاورها شرقاً وشمالاً، وكانت القوات المساندة له في البرك وحلي تنتظر وصول المؤن والأسلحة التي وصلت بالفعل على متن سفينة بريطانية إلى ميناء (البرك) [١] . فاستولى الإدريسي على ميناء (القنفذة) إذ احتله مشائخ (البرك) نيابة عنه بفضل مساندة مدافع السفن البريطانية[٢]. وباحتلال الإدريسي (للقنفذة) اختل التوازن الذي تنشده بريطانيا في المنطقة، وطالبوا برد (القنفذة) إلى الشريف حسين فأخلاها الإدريسي مرغماً لتنفيذ الاتفاقية البريطانية الإدريسية في عام (١٣٣٤هـ/١٩١٥م)[٣] .

أصبح الإدريسي بين عدة قوى محلية ترغب في السيطرة على بلاد تهامة، فإمام اليمن يرى أنها جزء من بلاده، والأشراف في مكة يعتبرون تهامة حتى بلاد القنفذة وما جاورها جزءاً من الحجاز، وآل عائض في عسير يَرَوْنَ أنها تتبع إمارتهم في أبها[٤]. عندئذ قام محمد الإدريسي بمكاتبة الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، وعلى ضوء ذلك تم عقد معاهدة صداقة بينهما عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، وتم ترسيم الحدود بين الطرفين[٥].

توفي السيد محمد الإدريسي عام (١٣٤١هـ/١٩٢٢م)، وخلفه في السلطة نجله علي بن محمد، فثار عليه سكان تهامة، وبايعوا عمه الحسن بن علي الإدريسي، فذهب علي إلى ابن سعود في نجد وأقام في مدينة الرياض واتصل الحسن الإدريسي بكل من السعوديين، وإمام اليمن، والإيطاليين، وأخيراً عقدت معاهدة مكة بين الملك عبد

---

(١) عبد اللطيف بن محمد الحميد .البحر الأحمر والجزيرة العربية في الصراع العثماني البريطاني خلال الحرب العالمية الأولى (١٣٢٢-١٣٣٧هـ/ ١٩١٤-١٩١٨م)، (الرياض: مكتبة العبيكان، (١٤١٥هـ/١٩٩٤م)، ص ٤٥٤ .

(٢) المرجع نفسه، ٤٦٢ .

(3) Document: F.O 882119 , From: Hussin Bin Ali . To Makmahon Dated . Aug 1916
انظر نص الوثيقة مترجمة في كتاب : الجزيرة العربية في الوثائق البريطانية (نجد والحجاز) . اختيار وترجمة وتحرير . نجدة فتحي صفوة . ٥٢٥/٢، ٥٣٥ . لمزيد من التفصيلات عن دخول الإدريسي القنفذة ثم خروجه منها بأمر من بريطانيا، انظر: الكتاب نفسه، ٥١٤/١، ٥١٥ . ٤٠٧/٢، ٥٣٣، ٥٣٤، بلسود، ٢١٣، ٢٢٤ ـ ٢٢٥ .

(٤) شاكر، ٢٤٤ ـ ٢٤٥، الجميعي، الأدارسة، ٢٨ ـ ٢٩ .

(٥) للمزيد عن المعاهدة التي وقعت بين ابن سعود والإدريسي، وما تم الاتفاق عليه، انظر: ابن مسفر، السراج، ١١٢ ـ ١١٤، شاكر، ٢٤٤ ـ ٢٤٥ .

العزيز آل سعود والسيد الحسن الإدريسي في عام (١٣٤٥هـ/١٩٢٦م)، وبمقتضاها تنازل الإدريسي عن كافة شؤون إمارته لابن سعود، الذي نصبه حاكماً عليها من قبله، وأمر بتشكيل مجلس شورى لمساعدته ينتخب رجاله من أهل الحل والعقد على أن تكون الأحكام والحدود الصادرة منه طبقاً للشرع الشريف. أما الجوانب الخارجية والحفاظ على حدود البلاد فكانت من اختصاص الملك عبد العزيز[1]. وعلى الرغم مما بذله ابن سعود للسيد الحسن الإدريسي من مساعدات مادية ومعنوية فقد عجزت حكومته المحلية عن إدارة الأمور وجباية الأموال، فاضطر الإدريسي في (١٧/ جمادى الأول عام ١٣٤٩هـ/١٩٣٠م) إلى التنازل عن إمارته، ورفع برقية إلى ابن سعود قال فيها: " وتقرر بموافقتنا ورضانا إسناد البلاد وماليتها إلى عهد جلالتكم"[2]. والعسيريون يرون أن مدينة القنفذة مازالت من الموانئ الرئيسية لهم بعد خروج الجيوش العثمانية من عسير، وبخاصة عندما كان الإدريسي يسعى إلى مضايقتهم وحجز وارداتهم وصادراتهم في موانئ الشقيق وجازان[3]. ومنذ أن دخلت القوات السعودية أبها عام (١٣٣٨هـ/١٩١٩م)، ثم توطد نفوذها في عموم منطقة عسير عام (١٣٤٠هـ/١٩٢١م). وكذلك دخول الحجاز تحت نفوذ ابن سعود عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)[4]. أصبحت عموم تهامة بما فيها منطقة القنفذة جزءاً من أجزاء البلاد السعودية، وفقاً لما سبق إعلانه في (٢١ جمادى الأولى عام (١٣٥١هـ/١٩٣٢م) بتوحيد أجزاء المقاطعات الخاصة بالملك عبد العزيز وجعلها مملكة واحدة باسم (المملكة العربية السعودية)[5].

ومنذ صارت منطقة القنفذة جزءاً من حكومة الملك عبد العزيز آل سعود بدأت تظهر فيها المؤسسات الإدارية الرئيسية التي تهدف إلى حفظ الأمن وخدمة المواطن في

(١) الجميعي، الأدارسة، ٣٢-٣٣ .

(٢) ابن مسفر، السراج، ١١٥-١١٦، للمزيد انظر: شاكر، ٢٤٥-٢٤٦، الجميعي، الأدارسة، ٣٣-٣٤. مع أن الحسن الإدريسي لم يستقر على هذا القرار، وإنما أعلن العصيان مرة ثانية على ابن سعود في صيف (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، فتصدت له القوات السعودية، واستعادت زمام الأمور، وهرب الإدريسي مع عائلته إلى اليمن، وبقي هناك حتى عفا عنه الملك عبد العزيز، ثم عاد وعائلته كي يعيشوا تحت رعاية الملك عبد العزيز. الجميعي، الأدارسة، ٣٤-٣٥ .

(٣) شاكر، ٢٥٦-٢٥٧ .

(٤) للمزيد من التفصيلات عن كيفية دخول عسير والحجاز تحت حكم ابن سعود انظر: ابن مسفر، السراج، ١٣٣ وما بعدها .

(٥) انظر :، ابن مسفر، السراج، ١١٦ .

شتى مجالات الحياة[١]، وأصبحت إمارتها تتبع إدارياً وزارة الداخلية في بداية الحكم، ثم أصبحت فيما بعد تستمد جميع قراراتها من إمارة مكة المكرمة[٢].

٣- القنفذة إدارياً :

للحديث عن الوضع الإداري في القنفذة لابد من الإشارة إلى أنها مرت بفترتين مختلفتين من حيث النظام والضبط الإداري، فالفترة الممتدة من القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي إلى عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) نجدها تتبع شرافة مكة المكرمة، وأحياناً إمارة عسير، وفي بعض السنوات من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) مد الإدريسي نفوذه عليها لبعض الوقت[٣]. والفوضى والاضطرابات السياسية والعسكرية في تلك العهود كانت تلقي بظلالها على منطقة القنفذة وسكانها. أما الفترة الثانية من عامٍ (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) حتى (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) فقد تغير وضع هذه البلاد سياسياً وإدارياً، وصارت جزءاً صغيراً من جسم المملكة العربية السعودية التي يسودها النظام والاستقرار في شتى مناحي الحياة. ولهذا سوف نناقش في الصفحات التالية الأوضاع الإدارية التي عاشها أهالي القنفذة منذ القرن العاشر الهجري / السادس عشر الميلادي حتى اليوم.

أ- ملامح القنفذة إداريا من (ق١٠هـ / ١٦م) حتى عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م).

تتبع القنفذة إدارياً أشراف مكة منذ العصور الإسلامية المبكرة، واستمرت هكذا إلى العصر الحديث، فكان الولاة ومن يتبعهم من موظفين يعينون على بلدة القنفذة من الإدارات الرئيسية في مكة، بل كان بعض أمراء مكة وذويهم يذهبون إلى أرض القنفذة لبعض المهمات السياسية والحضارية المختلفة[٤]، ونجد العصامي يذكر تبعية

---

(١) للمزيد عن نشأة وتطور المؤسسات الإدارية في القنفذة خلال العهد السعودي الحالي، انظر: صفحات قادمة في هذا القسم. كما انظر: ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ص٣٦٤-٣٨٢.

(٢) يتضح في كثير من الوثائق التي بين أيدينا أن الأمور المالية في منطقة القنفذة كانت تتبع مالية أبها وبخاصة في الفترة (١٣٥٩-١٣٦٢هـ/١٩٤٠-١٩٤٣م)، وفي مكتبة الباحث كثير من الوثائق التي تؤكد صحة ما ذكرنا.

(٣) انظر: ابن عبد الشكور، ورق، ٨٥، مؤلف مجهول، مخطوط أمراء مكة، ٢-٣، ابن بشر، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٩١، جحاف، ٦٥٦، بوركهارت، ١٤٥، عبد الرحيم، من وثائق، ٢/٤٩٩، الحفظي، رؤية تاريخية، ٣٠ وما بعدها، عسيري، عسير، ١٣٧ وما بعدها، آل فائع، ١٣٧ وما بعدها. شاكر، ١٤٦ وما بعدها، ابن مسفر، السراج، ٧٧ وما بعدها.

(٤) للمزيد انظر: العصامي، ٤/٢٨٤، ٢٨٥، ٤٩٢، ابن عبد الشكور، ورقم، ٨٦، ابن القاسم، غاية، ٢٦٨، ٢٦٩، البلادي، ١٣١. يعد شيوخ القبائل هم أصحاب الحل والعقد في جميع نواحي القنفذة البعيدة عن البلدة الرئيسية، وولاة القنفذة وأمراء مكة يسعون دائماً إلى مجاملة أعيان القبائل والتقرب منهم بالصلات

القنفذة لأمراء مكة بشكل صريح خلال القرن الحادي عشر الهجري / السابع عشر الميلادي، وذلك أثناء حديثه عن والي القنفذة من قبل أشراف مكة، القاضي عبد الواحد الأنصاري، الذي قال عنه: " كان رئيس القنفذة وما والاها من أرض الحجاز، لا تصدر أمورها إلا عن رأيه " [١]. ونجد بعض الروايات تؤكد على أهمية القنفذة لأمراء مكة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين السابع عشر والثامن عشر الميلاديين، فكانت تتخذ ملجأ لبعض الأشراف الثائرين ضد ذويهم في إمارة مكة، وأحيانا يطلب ولاة مكة من سكان القنفذة المناصرة والوقوف إلى جانبهم ضد من يهاجمهم أو يهدد كيانهم، وكان بعض المكيين يمتلكون في أجزاء من منطقة القنفذة زروعا وعقارات مختلفة [٢]. ومصادر أخرى تشير إلى عكس ما ذكرنا عن عدم تبعية القنفذة لمكة فتذكر أن موسى أبو نقطة [٣] كان واليا على القنفذة عام (١٠٤٥-١٠٥٥هـ/ ١٦٣٥-١٦٤٥م)، من قبل أمير عسير آنذاك، عبد الرحمن بن علي اليزيدي، وتمكن هذا الوالي من محاربة الأشراف وصدهم عن القنفذة التي كانوا يسعون إلى ضمها إلى حوزتهم[٤]. وعند وفاة موسى أبو نقطة (١٠٥٥هـ/١٦٤٥م) تولى أمر القنفذة بعده ابنه إبراهيم. وفي عام (١٠٨٠هـ/١٦٦٩م) استطاع شريف مكة سعد بن زيد بن محسن [٥] أن يحتل بلدة القنفذة، فخرج إبراهيم بن موسى منها واستقر عند أمير حلي، عيسى بن موسى الدربي، وبعد مدة استطاع الرجوع إلى القنفذة ودحر الأشراف منها، وتولى إمارتها ثانية [٦]. ثم استدعاه أمير عسير، عبد الرحمن اليزيدي، فحل محله في إمارة البلدة ابنه علي. وهذا ما يؤكد أن القنفذة كانت بين مد وجزر عند المكيين الذين يسعون إلى السيطرة عليها، لكنها قد تخرج من أيديهم عندما يظهر لهم بعض المناوئين من عسير وغيرها.

والهدايا حتى يكسبوا ودهم أو يكفوا شرهم وثوراتهم ضدهم. انظر: دحلان، ١٤٠، السباعي، ٤٠٤، آل فائع، ٢٧ وما بعدها.

(١) العصامي، ٤/٤٩٢.

(٢) للمزيد انظر: ابن القاسم، غاية، ٢/٨٢٩، دحلان، ١٥١، ١٦٠، ١٨٣، عبد الغني ٧٦٩، السباعي، ٤٠٤، البلادي، ١٢٩.

(٣) من أشهر أعيان أسرة آل (أبو نقطة)، محمد بن عامر بن محمد بن أحمد بن علي بن إبراهيم بن موسى، الملقب بأبي نقطة، وعرفت أسرته بهذا اللقب فيما بعد ويذكر أن الأسرة من (آل متحام) من بني ثوعة بالحلف، وبنو ثوعة من رجال ألمع. الحفظي، رؤية تاريخية، ٥٤.

(٤) الحفظي، المصدر نفسه، ٥٤ – ٥٥.

(٥) الحفظي، المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه، ٥٤ — ٥٥.

وتشـير روايات أخـرى إلى بعض أمراء حلي في القرن العاشـر الهجري / السادس عشـر الميلادي، فيذكر أن قيس بن محمـد كان واليها في آخر ذلك القرن، ثم جاء عمه عليٍ بن إبراهيم فاستعان بالجراكسة، وأقصى قيساً عن إمارة حلي وساعدت الجراكسة علياً على أن يمد نفوذه على عموم تهامة عسيرٍ، ويتمركز بقوته في الشعبين برجال ألمع . ويذكـر أن قيس بن عامر الشهابي كان مفتياً لحلي في النصف الثاني من القرن العاشر الهجـري / السادس عشر الميلادي، وحل محلـه موسى بن جغثم بن عجيل الذي أصبح إماماً وخطيباً لجامع حلي الكبير[١] .

ومنـذ القرن الثالث عشر الهجري / التاسـع عشر الميلادي وصلت الدعوة السلفية إلى جنـوب الجزيرة العربية، وبـرز أمراء آل المتحمي الذين مـدوا نفوذهم إلى البرك وحلي والقنفـذة والعرضيتين وغيرها، ووقع بينهم وبين جيوش محمد علي باشا معارك عديـدة على أرض القنفـذة[٢]. وفي عام (١٢١٨هـ/١٨٠٣م) كان عثمان بن أبي بكر واليـاً علـى القنفذة من قبل أمراء مكة، وفي العام نفسـه، حاصرت جيوش عبد الوهاب ابـن عامر أبو نقطـة القنفذة واستولت علـى المدينة، ودخل هذا الـوالي في طاعة أمير عسـير[٣]. واستمرت معظم بلاد القنفذة تحـت حكم الأمراء المتاحمة، عبد الوهاب ثم طامي بن شعيب[٤] . ويؤكد بوركهارت في نصوص واضحة بأن القنفذة كانت تحت نفوذ طامـي من عام (١٢٢٤- ١٢٢٩هـ/١٨٠٩-١٨١٣م)[٥]. وبعد هذا التاريخ صار محمد علي باشا يغير على مناطق القنفذة ويسيطر عليها، ويعين من قبله من يتولى إدارتها[٦]. وغالباً كانت القنفذة وما جاورها شمالاً تحت نفوذ الجيوش العثمانية وأشراف مكة، أما النواحي الواقعة جنوباً وأحياناً شرق المدينة فهي إلى حد ما تحت سيطرة أمراء عسير . وتذكـر بعض الروايات أن الأمير سعيد بن مسلط (١٢٣٩- ١٢٤٢هـ/ ١٨٢٣-١٨٢٦م)،

(١) الحفظي، المصدر نفسه، ٥٥ .

(٢) المصدر نفسه، ٢٩ – ٣٠ .

(٣) للمزيـد انظر: العجيلي، ٢٠، ابن عبـد الشكور، ورقة، ٨٦، الحفظي، مخطوط في تاريخ عسير، ٩، البهكلي، ٢٩٣، ابـن بشر، ٣٤٠، ٣٤١، بوركهـارت، ١٤٥، ١٤٦، ابن مسفر، أخبار، ٤٥، الجميعي، عسير، ٥٣-٦٥، آل فائع، ١٦٥ وما بعدها .

(٤) العجيلي، ٢٠، جحاف، ٦٥٦، ٦٥٧ .

(٥) بوركهارت، ١٤٥، ١٤٦ . للمزيد انظر: آل فائع، ٢٧١ .

(٦) انظـر: ابـن بشـر، ٣٤٠، ٣٤١ عباس، ٨٢ . بعد مهاجمة محمد علي باشا لبـلاد عسير، عاد إلى الحجاز ثم مصر، وترك حسني باشا محافظا لمكة، فقام حسني بإرسال جمعة أغا للإقامة في القنفذة ويتولى محاربة الجيوش العسيريـة . للمزيد انظر: عبد الرحيم، مـن وثائق، ٥٨٥، ابن مسفر، أخبـار، ٧٥ وما بعدها، آل فائع، ٣٠٢ وما بعدها .

مد نفوذه إلى مدينة القنفذة وعين عليها بعض الأمراء مثل : علي بن حيدر، ومحمد بن حسن بن خالد[١] .

ونجد أحد الرحالة اليمنيين يصف ميناء القنفذة عام (١٢٤١هـ/١٨٢٥م) ويشير إلى اسم رجل يدعى (جمعة) ثم يقول: (ولعله من عبيد الأتراك، وهو رجل عجيب، لاسيما في تأنيس الغريب [٢]، ثم يذكر أن عموم سكان بلدة القنفذة من الحضارمة والأتراك الذين أغلبهم من الجنود[٣]، وفيما يبدو أن جمعة الآنف الذكر كان قائداً عسكرياً من العثمانيين، لأننا نجد هذا الرحالة يتحدث عن خطيب ومفتي البلدة[٤]، ثم يذكر حاكمها المدعو/السيد أحمد السقاف من الحضارم[٥]، الذي قال عنه : " ولعله قد سكن صنعاء وأخذ من طباع أهلها ولطافتهم "[٦].

وفي عام (١٢٥٣هـ/ ١٨٣٧م) يقوم الأشراف والقادة العثمانيون في الحجاز ببعض الإصلاحات الإدارية على ميناء القنفذة، ويعينون كاتباً مساعداً لأمين جمرك الميناء [٧] . و نجد أن حلي بن يعقوب وما جاورها كانت تحت نفوذ الأمير عائض بن مرعي، وكان له بها رجال يتصدون للأتراك والأشراف في القنفذة وضواحيها.وتشير بعض الوثائق إلى أن محافظ القنفذة من قبل الأتراك عام (١٢٥٥هـ/١٨٣٩م) يدعى حسين أفندي، وكان على صلات نشطة بولاة الحجاز يخبرهم عن تحركات عائض ابن مرعي العسكرية[٨]. وفي عام (١٢٧٢هـ/ ١٨٥٦م) تولى علي بن طامي بن شعيب القنفذة للأمير عائض بن مرعي، فأرسل الأتراك بعض الفرق العسكرية لمحاربته، إلا أنه تمكن من هزيمتهم، ثم واصل سيره مع بعض رجاله من القنفذة حتى مكة المكرمة لأداء مناسك العمرة، وعاد إلى مقر إقامته في بلدة القنفذة [٩] .

---

(١) الحفظي، رؤية تاريخية، ٨٦ .

(٢) إسماعيل جغمان . رحلة الحج من صنعاء إلى مكة المكرمة . دراسة وتحقيق محمد بن عبد الرحمن الثنيان (الرياض : دارة الملك عبد العزيز، ١٤٢٦هـ)، ٦٦ .

(٣) المصدر نفسه .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) بنو السقاف : من البيوت الكبيرة المشهورة في حضرموت، ينتسب إليهم عدد كبير من العلماء والأدباء . جغمان، ٦٦، حاشية (٤)،

(٦) جغمان، ٦٦ .

(٧) دار الوثائق القومية بالقاهرة، وثيقة رقم (٩) المؤرخة (١٩) المحرم (١٢٥٣هـ/١٨٣٦م) . دفتر رقم (١٥٦) تركي مجلس ملكي، درج رقم (١٨٧) .

(٨) انظر : الوثائق في الملاحق رقم (٣، ٤) بنهاية هذا الكتاب .

(٩) شاكر، ١٩٨ .

ومن أمراء القنفذة وحلي في عهد الأمير عائض بن مرعي، محمد بن أبي سراح الزيداني الأزدي[١]، والذي ينوب عنه في إدارة البلاد أثناء غيابه القاضي أحمد بن عبد الله الزيلعي العقيلي. ويذكر أن أمير حلي في عام (١٢٨١هـ/١٨٦٤م) عبد الله بن يعقوب الكناني، ومعه أحياناً بعض أشراف مكة الثائرين على أبناء عمومتهم في الحجاز[٢] .

ومنذ دخلت عسير تحت الحكم العثماني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/ ١٨٧٢-١٩١٨م)، أصبحت أرض القنفذة تخضع لحاكم يسمى (قائمقام) يعين من قبل متصرف عسير، الذي يستمد صلاحياته من السلطان العثماني في اسطنبول[٣]. وهؤلاء الولاة كانوا أحياناً من أبناء الجزيرة العربية، ففي إحدى الوثائق نجد أن قائمقام القنفذة في عام (١٣١٣هـ/١٨٩٥م) يدعى الشيخ فائز بك، من أسرة العسابلة المقيمة في بلدة النماص بمنطقة عسير[٤]. الذي تم عزله في تلك السنة، وعين بدلاً منه ولده علي بن فائز بك[٥] . ويظهر من نص الوثيقة النصح والإرشاد لقائمقام القنفذة الجديد والعاملين معه مثل : القاضي، والمفتي، وأعضاء مجلس البلدة، والعلماء والمشايخ فعليهم جميعاً الحفاظ على الأمن وجباية الأموال، ومباشرة أعمالهم بجد واجتهاد[٦] .

وفي عامي (١٣٠٩-١٣١٠هـ/١٨٩١-١٨٩٢م) نلاحظ بعض رجال آل عائض في عسير يسعون إلى محاربة الجيوش العثمانية وطردهم من البلاد، كما عينوا من قبلهم سعد الدين بن علي الجمالي على أجزاء من بلاد القنفذة مثل بلدة حلي وما جاورها[٧]. وعند ظهور الإدريسي في صبيا عام (١٣٢٦-١٣٤١هـ/١٩٠٨-١٩٢٢م) استطاع أن يمد

---

(١) الحفظي، رؤية تاريخية، ١٠٦ .

(٢) المصدر نفسه، ١١٦ . كان بعض أمراء حلي يثورون أحياناً ضد الأمير محمد بن عائض بن مرعي وينضمون إلى الأشراف، لكنه يستعين ببعض رجال عسير في تهامة والسراة كي يقمعوا أولئك الثائرين، ويعيدوهم تحت نفوذه . الحفظي، المصدر نفسه، ١٤١ .

(٣) ابن جريس، صفحات، ١+٢ /٩٧ .

(٤) أسرة العسابلة في النماص ويتولى بعض رجالاتها المشيخة العامة على نصف عشائر وبطون قبيلة بني شهر منذ أكثر من قرنين، ومازالت المشيخة فيهم إلى الآن. للمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس. بلاد بني شهر بني عمرو خلال القرنين (١٣، ١٤ هـ) (أبها : مطابع مازن، ١٤١٣هـ)، الطبعة الأولى ٣٤-٣٥ ، والطبعة الثانية من الكتاب نفسه (١٤٢٩هـ/٢٠٠٩م) ص ٦٨-٧٠ ، وهناك طبعة ثالثة ورابعة من هذا الكتاب.

(٥) المرجع نفسه، ١٥٩، وللمؤلف نفسه، صفحات من تاريخ عسير، ١+٢/٩٦-٩٨ .

(٦) انظر: نص الوثيقة، ابن جريس، بلاد بني شهر، ط١، ١٥٩، صفحات، من تاريخ عسير. ج(١+٢) ص ٩٦-٩٧ .

(٧) الحفظي، رؤية تاريخية، ١٥١ .

نفوذه شمالاً إلى البرك وحلي وأحياناً إلى القنفذة، وكان على رأس جيوشه وممن حكم له تلك النواحي عدد من الرجال، مثل : مصطفى النعمي، ومحمد بن خرشان ... وتشير بعض الروايات إلى أن سليمان شفيق باشا ومعه عبد الله بن علي آل عائض كانا يعملان على محاربة الإدريسي والحد من زحفه على نواحي القنفذة، كما عملا على تعيين أحمد شريف من آل خيرات على بلده القنفذة لبعض الوقت[١] .

والواقع أن ميناء القنفذة بقي في خدمة الدولة العثمانية خلال الحكم العثماني، ومعظم الولاة العثمانيين لعسير كانوا يقدمون إلى أبها عن طريق هذا الميناء، وأحياناً يجتمع فيها المتصرف العثماني الجديد مع المتصرف القديم كي يتشاورا في بعض القضايا التي تساعد على حكم البلاد . فيذكر سليمان شفيق باشا عندما غادر عسير، أنه التقى بالوالي الجديد في القنفذة، محيى الدين باشا (١٣٣٢ـ١٣٣٧هـ/١٩١٣ـ١٩١٨م) وهو قادم إلى أبها، وجلس معه بعض الوقت كي يوضح له بعض العقبات التي واجهها في حكم البلاد، وما هي الأمور التي يجب عليه اتباعها كي يتجاوز تلك الصعاب[٢] .

وربما دخلت القنفذة إدارياً تحت حوزة شريف مكة الحسين بن علي عندما خرج من الحجاز لفك حصار الإدريسي عن متصرف عسير سليمان شفيق باشا، عام (١٣٢٩هـ/١٩١١م) وقد أبلغت الحكومة العثمانية والي القنفذة نشأت بك أن يكون على أتم الاستعداد للانضمام لجيوش الشريف حسين عند وصولها إليه، وأن يتعاون معهم في محاربة الإدريسي، وفك حصاره المضروب على مدينة أبها [٣].

بقيت القنفذة تتأرجح في إدارة بلادها بين العثمانيين، والأشراف، والعسيريين، والقوى الإدريسية، ولم تستقر على حال واحد خلال القرون السابقة لعهد الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل[٤] . كما أن شيوخ وأعيان القبائل في منطقة القنفذة كانوا ذوي تأثير قوي على سير الأوضاع الإدارية والمالية في بلادهم، فكانوا يشكلون العمود الفقري لحكم بلادهم، والاتصال بالقوى السياسية التي تصل إلى ديارهم

(١) الحفظي، رؤية تاريخية، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٣٠ .

(٢) الحفظي، رؤية تاريخية، ١٩٦ . للمزيد عن معرفة أسماء الولاة الأتراك الذين أقاموا في متصرفية عسير خلال حكمها (١٢٨٩ـ١٣٣٧هـ/١٨٧٢ – ١٩١٨م) انظر: ابن جريس، أبها حاضرة عسير، ٥١ ـ ٥٤ .

(٣) شاكر، ٢٤١، ابن مسفر، السراج، ١١٠ .

(٤) دخلت القنفذة تحت حكم الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل من عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، مع أن أجزاء من تهامة عسير الشمالية مثل : بارق، والمجاردة، والعرضيتين ربما دخلت تحت نفوذه قبل ذلك التاريخ، وعلى أرجح الأقوال منذ عامي (٤١، ١٣٤٢هـ/ ٢٢، ١٩٢٣م) .

وتسيطـر عليهـا، والقوة التـي تستطيع أن تكسب أكـبر قدر ممكن مـن أولئك الشيوخ والأعيان، فإنها في الغالب تكون صاحبة النفوذ والغلبة .

ب.القنفذة إداريا من (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) حتى عام (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م):

منـذ امتـداد حكم الإمام عبد العزيز بن عبد الرحمـن آل سعود إلى كل من عسير (١٣٣٨هـ/ ١٩١٩م)، والحجـاز (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، اندرجت منطقـة القنفذة بشكل مباشـر تحت نفوذ هـذا الإمام الذي أدخل عمـوم البلاد السعودية تحـت راية واحدة، ثـم أوجد لهـا أسساً وأنظمـة إدارية وماليـة عصرية، بعيـدة عن التشـرذم والقوانين والصراعـات القبلية البدائية . وأصبحت حكومتـه دولة مؤسسات إدارية تسوس البلاد مـن أقصاها إلى أدناها، وتحتكم جميعها إلى كتاب الله وسنة رسوله (ﷺ) . ومن ثم أصبـح هنالك وزارات، وإدارات، وقوانين عصرية تحكم أجزاء البلاد . وفي الصفحات التاليـة نورد نبـذة مختصرة عن بداية ثم تطـور معظم المؤسسـات الإدارية والمالية في منطقة القنفذة منذ دخولها تحت الحكم السعودي عام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م) حتى وقتنا الحاضر (١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م).

١.محافظة القنفذة ومراكزها (الإمارة سابقاً)[١]

تعـد بلـدة القنفذة المركـز الرئيسـي للبـلاد (المحافظـة)، والأمـير (المحافظ) هـو المسؤول الأول في البـلاد، وهنـاك بعض الوثائـق التـي تذكـر أسمـاء الذيـن تولـوا الإمـارة منـذ عـام (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)[٢]، وهم علـى النحو التالي: عبـد الله بن حمزة الفعـر (١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، ومحمـد بـن عجـاج (ربيـع الآخـر ١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، ومساعـد بـن سويلـم (شوال١٣٤٣هـ/ ١٩٢٤م)، وصالـح العلـي السليـم [٣]، وفهـد بـن زعـير (١٣٤٥هـ/ ١٩٢٦م)، ومحمـد بـن سلطـان، ومسعـود المـبروك في الفترة مـا بـين (١٣٤٧-١٣٥٠هـ/ ١٩٢٨- ١٩٣١م)، وفهـد بـن زعـير للمـرة الثانيـة عـام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)، ثـم محمـد بـن ماضـي (١٣٥٣-١٣٥٤هـ/ ٣٤-١٩٣٥م)،

---

(١) كانـت القنفـذة إمـارة تتبع منطقة مكـة، وهكذا استمـرت على هذا المنـوال حتى إجراء بعض التعديلات الإداريـة في الدولـة في العقـد الثاني من القرن (١٥هـ/ ٢٠م)، ومن ثم استبـدل مصطلح (إمارة) باسم (محافظة)، وأصبحت القنفذة من المحافظات رقم (أ) التابعة لإمارة مكة المكرمة، ومازالت حتى الآن .

(٢) وجدنا العديد من الوثائق في محافظة القنفذة، وهي تعكس تواريخ أمراء القنفذة وهذه الوثائق ضمن مكتبة الباحـث، بالإضافـة إلى مذكـرة في حوالي (٥٠) صفحة عـن الإدارات الحكومية في منطقـة القنفذة منذ تأسيسها حتى عام (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، يوجد صورة منها عند الباحث، وأخرى بمحافظة القنفذة، وثالثة عند مؤرخ القنفذة الأستاذ حسن إبراهيم الفقيه .

(٣) لم نجد تاريخ توليه الإمارة، لكن فيما يبدو أنه في عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) .

وعبد الرحمن بن إبراهيم بن مبارك (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م) [١] ومحمد بن عبد الرحمن السويلم في عامي (١٣٥٧ـ١٣٥٨هـ/١٩٣٨ـ١٩٣٩م)، وأحمد بن تركي السديري (١٣٥٩ـ١٣٦٩هـ/١٩٤٠ـ١٩٤٩م)، وإبراهيم بن عبد العزيز البراهيم (١٣٧٠–١٣٨٠هـ/١٩٥٠–١٩٦٠م)، وعبد الله محمد البراهيم (١٣٨٠– ١٤٠٦هـ/ ١٩٦٠–١٩٨٥م)، ومحمد عبد العزيز بن الشيخ (١/٥/١٤٠٦هـ ـ ١/٧/١٤٠٨هـ /١٩٨٥–١٩٨٧م)، وحسين بن عبد الله العساف (١٤٠٨– ١٤٢١هـ / ١٩٨٧–٢٠٠٠م) [٢] وعبد الله بن مساعد القناوي (١٤٢١– ١٤٢٨هـ / ٢٠٠١–٢٠٠٨م)، وسعد العصيمي (١٤٢٨–١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨– ٢٠٠٩م)، ثم فضاء البقمي(١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م).

وهناك العديد من المراكز التابعة لإمارة (محافظة القنفذة) وتلك المراكز عند تأسيسها هي مركز العرضية الجنوبية في ثريبان تأسس عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٣م)، وأصبح مرتبطاً بإمارة القنفذة من عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، ومركز البرك وإدارته المتوارثة في أسرة آل عبده من عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) [٣]، ومركز حلي عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) ، ومركز المظيلف(١٣٤٧هـ/١٩٢٨م)، ومراكز أخرى، مثل: القوز (١٣٥٦هـ١٩٣٧م)، ودوقة (١٣٧٤هـ/ ١٩٥٤م)، وحرب وبني عيسى (١٣٧٥هـ /١٩٥٥م) والعرضية الشمالية (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ومراكز ذهبان (١٣٩٣هـ/١٩٧٣م)، وأحد بني زيد (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م)، وعمق (١٣٩٦هـ/١٩٧٦م)، وكنانة (١٣٩٩هـ/١٩٧٨م)، وثلاثاء الخرم(١٤٠٢هـ/١٩٨١م) [٤]، وخميس حرب (١٤٢٧هـ) .

٢- الاتصالات :

سميت الاتصالات في عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م) (مراقبية لاسلكي وبريد القنفذة)، فكانت تتبع مديرية الشؤون السلكية واللاسلكية والبريدية، ثم انتقلت إلى وزارة البرق

---

(١) كان السيد علي بن هادي أميراً للقنفذة في رمضان (١٣٥٦هـ/١٩٣٧م) .

(٢) كان يطلق عليه اسم أمير، وعندما أجريت بعض التعديلات على مسميات الأمراء والموظفين في عام (١٤١٢هـ/١٩٩١م)، أصبح يطلق عليه محافظاً بالنيابة، ثم محافظ القنفذة بمناسبة زيارة أمير مكة لمنطقة القنفذة عام (١٤٢١هـ/٢٠٠٠م)، ١٢ ـ ١٣، عبد اللطيف، ٨٧ .

(٣) قدم ابن عبده الهلالي خدمات جيدة للملك عبد العزيز أثناء ضم تهامة، ولهذا أكرمه وجعل (إمارته مرتبطة في البداية بوزارة الداخلية منذ عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، وفي عام (١٣٨٥هـ/١٩٦٥م) أصبحت مرتبطة بإمارة مكة المكرمة مباشرة، وفي (١٤١٤هـ/١٩٩٣م) صار مركز البرك تابعاً لمحافظة القنفذة، وفي عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) صارت بلاد البرك، من وادي ذهبان حتى الصوالحة شمالاً تابعة لإمارة منطقة عسير ، وهي اليوم أحدى محافظات منطقة عسير .

(٤) معاصرة الباحث لهذه التعديلات الإدارية وبخاصة التي جرت في العقود الأولى من القرن(١٥هـ/٢٠ـ٢١م)، مذكرة الإدارات الحكومية في القنفذة، نسخة منها في حوزة الباحث، للمزيد انظر: عبد اللطيف، ٨٧ .

والبريد والهاتف، وأخيراً إلى إدارة الاتصالات في مكة المكرمة[١]. تولى إدارتها العديد من المديرين مثل: أحمد عبيد أول مدير للاسلكي وبريد القنفذة منذ النشأة عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، ثم السيد صالح طه (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م)، وعبد الله ابن محمد أحمد باسندوه (١٣٦٨-١٣٧٧هـ/١٩٤٨م)، وطه عيسى (١٣٦٨-١٣٧٧هـ/ ١٩٤٨-١٩٥٧م) وعواد زارع (١٣٧٧هـ/١٩٥٧م)[٢]. وسعيد كيال (١٣٧٧-١٣٨٢هـ/ ١٩٥٧-١٩٦٢م)، وحسين محمد مغربي (١٣٨٢-١٤١٢هـ/١٩٦٢-١٩٩١م)[٣]. ومحمد سالم بايحيى (١٤١٢-١٤١٧هـ/١٩٩١-١٩٩٦م)[٤]. وحسين بلغيث المعيدي (١٤١٧/١٠/٩هـ/ ولا يزال حتى هذا العام (١٤٢٤هـ)[٥]

٣- البريد

كانت إدارة البريد ولاسلكي القنفذة موجودة منذ التأسيس حتى إدارة حسين محمد مغربي(١٣٨٢-١٤١٢هـ/١٩٦٢-١٩٩١م)، وفي(١٣٩٥/٧/١هـ/ ١٩٧٥ م) أصبحت إدارة البريد مستقلة، وأول مدير لها هو: أحمد مغربي (١٣٩٥/٧/١هـ)، ثم باقر زين بن حسين (١٤١٠-١٤١٢هـ/ ١٩٨٩-١٩٩١م)، وزين علي نولي[٦]. وعيدروس أحمد عثمان باوهاب (١٤١٥-١٤٢٤هـ/١٩٩٤-٢٠٠٣م).

وفي مذكرة وصلتنا من الأستاذ عيدروس باوهاب بتاريخ (١٤٢٤/٥/١هـ)[٧]. ذكر فيها تفصيلات كثيرة عن بريد القنفذة منذ نشأته عام (١٣٥١هـ/ ١٩٣٢م)[٨]، ويشير إلى أحد عشر فرعاً للبريد في منطقة القنفذة، وجميعها تأسست بين عامي (١٣٩٦-١٤١٨هـ/١٩٧٦-١٩٩٧م)، ويذكر أيضاً أربعة عشر خطاً بريدياً بين أجزاء

(١) المصدر نفسه، بالإضافة إلى مذكرة وصلتنا من إدارة بريد القنفذة في (١٤٢٤/٥/١هـ). ويوجد صورة من هذه المذكرة ضمن أوراق الباحث، انظر أيضاً: ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ٣٦٧.

(٢) وجدنا اسمه في وثيقة وصلتنا من مدير بريد القنفذة عواد زراع، وربما هذا الاسم هو الصحيح. انظر: أيضاً مذكرة الإدارات الحكومية في القنفذة، ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ٣٦٨.

(٣) وجدنا اسمه (حسن) في بعض الوثائق الموجودة في بريد القنفذة والصحيح ما ذكرنا.

(٤) كان أول مدير للاتصالات بالقنفذة بعد انفصالها إلى إدارة مستقلة عرفت بهذا الاسم حتى اليوم.

(٥) انظر: مذكرة الإدارات الحكومية، وأيضاً الكتيب الذي أصدرته محافظة القنفذة عام (١٤٢١هـ): القنفذة تاريخ وتطور، ٤٥، للمزيد انظر: عبد اللطيف، ١٤٢.

(٦) لم نجد تاريخاً دقيقاً لإدارته، لكنه كان بين عامي (١٤١٢-١٤١٥هـ/١٩٩١-١٩٩٤م).

(٧) أصل وصورة المذكرة ضمن أوراق مكتبة الباحث، انظر: ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ٣٦٨.

(٨) نجد في مذكرة الإدارات الحكومية أن لاسلكي وبريد القنفذة موجود من شوال عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، للمزيد انظر: عبد اللطيف، ١٤٢-١٤٣، ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ٣٦٧-٣٧٠.

القنفذة وهي : القنفذة ـ عقراء، القنفذة ـ الحليفة، القنفذة ـ الصالحي، القنفذة ـ عنيكر، القوز ـ المحاسنة، المظيلف ـ الملاوحة، حلي ـ كياد، كياد ـ باشوت، العرضية الشمالية ـ آل حجاج، والفائجة، والمعقص . العرضية الجنوبية ـ آل كثير، والسواد، ومنفة . وأشار إلى أسماء بعض الذين كانوا ينقلون البريد على الدواب مثل : الجمال والحمير فذكر منهم: أحمد بالبيد، وقادري باكواسة، ويحيى با صليب، ويحيى مستور . ومن سائقي سيارات البريد القدماء عبد الله بن ملحوق، وعويس وغيرهم . وممن عمل في توزيع البريد داخل بلدة القنفذة محمد باجبير، وفيصل عبدربه[١] .

٤ ـ إدارة الأموال :

أنشئت هذه الإدارة في شهر ربيع الأول (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، وأطلق عليها عام (١٣٤٤هـ/١٩٢٥م) اسم (إدارة أموال القنفذة)[٢]، وكان تركي بن محمد الماضي مديرها في السنة الأولى، ويطلق عليه اسم (وكيل المالية)، ومنذ العام الثاني أصبح أحمد أبو هليل مديراً للمالية وجاء بعده ناصر كابلي عام (١٣٥٣–١٣٥٦هـ/١٩٣٤–١٩٣٧م)، ومحمد بن حامد بدوي (١٣٥٧هـ/١٩٣٨م)، وعبد الله القين (١٣٥٨هـ/١٩٣٩م)[٣]، وحتى هذا التاريخ كانت تتبع هذه الإدارة مديرية المالية في مكة، ثم أمانة الأموال في جدة، ثم وزارة المالية[٤]. وفي عام (١٣٥٩– ١٣٦٢هـ/ ١٩٤٠ – ١٩٤٣م) تولى الإدارة أحمد ابن عبيد، وأصبح يراجع إدارة مالية أبها[٥].

---

(١) مذكرة عيدروس با وهاب ضمن أوراق مكتبة الباحث، للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ص ٣٦٩ .

(٢) مذكرة الإدارات الحكومية بالقنفذة . وفي مذكرة أخرى وصلتنا بتاريخ (١٤٢٤/٤/٧هـ) من مدير مكتب وزارة المالية بالقنفذة عبد الله عيسى الحازمي يذكر فيها بعض المسميات التي أطلقت على هذه الإدارة منذ تأسيسها حتى الآن فذكر اسمها في عام (١٣٤٤هـ ـ ١٩٢٥م) (أموال القنفذة)، وفي عام (١٣٦٠هـ/ ١٩٤١م) (مالية القنفذة)، وفي عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) (رأس مال وجمرك القنفذة) وفي عام (١٤٠٠هـ/ ١٩٨٤م) (المكتب المالي بالقنفذة) وفي عام (١٤١٦هـ/١٩٩٥م) (مكتب وزارة المالية بمحافظة القنفذة)، للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ص ٣٦٤ .

(٣) انظر : مذكرة الإدارات الحكومية بالقنفذة، والقنفذة تاريخ وتطور، ٤٠ ، انظر: ابن جريس، القول، ج٢، ص٣٦٤ .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) انظر : القرار الوزاري من وزارة المالية الذي ربط فيه ماليات جازان والقنفذة ونجران وبيشة بمالية أبها اعتباراً من أول عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) . وكان عبد الوهاب أبو ملحة هو المدير العام لتلك الماليات، ومقره في مدينة أبها . للمزيد انظر: غيثان بن علي بن جريس . عسير في عصر الملك عبد العزيز (دراسة تاريخية للحياة الإدارية والاقتصادية) (جدة : دار البلاد للطباعة والنشر، ١٤٢٠هـ/١٩٩٩م)، ٢٢٩ـ ٢٣٣، وللمزيد عن أبو ملحة، انظر أيضاً : ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ١٤٣ـ ١٩٨ ، وهناك كتاب عن (عبد الوهاب أبو ملحة ..) من إعداد غيثان بن جريس صدر في طبعتين (١٤٣٣هـ ، ١٤٣٥هـ)

وفي عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، انتقلت مرجعية إدارة مال القنفذة إلى وزارة المالية والاقتصاد الوطني مباشرة، وتولى إدارتها في تلك السنة ستة مديرين هم على التوالي: السيد علي بن هاشهين سلطان / ومحمد بن أحمد، ومحمد عباس ريس، ويونس بن أحمد، وفهد الغانم، وعثمان بن حافظ، وفي عام (١٣٦٣هـ/١٩٤١م) تولى إدارتها صالح الغامدي، ثم محمد بن مدني حمد (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م). وعبد الرحمن الجاسر (١٣٧١-٧٠هـ/١٩٥٠-١٩٥١م) [١]، ومحمد مصطفى السالك (١٣٧٦-١٤٠٤هـ/١٩٥٦-١٩٨٣م)، وعمر بن محمد باسندوه (١٤٠٨-١٤٠٩هـ/١٩٨٤-١٩٨٨م)، ومحمد بن علي الناشري (١٤٠٨-١٤٠٩هـ / ٨٨-١٩٨٩م) [٢] وعبد الله بن عيسى الحازمي (١٤٠٩-١٤٢٤هـ/ ١٩٨٩-٢٠٠٣م) [٣].

ويشير عبد الله الحازمي إلى بعض الأعمال التي يزاولها مكتب المالية بالقنفذة فيذكر إشرافه على أملاك الدولة ومتابعة تسجيلها، والمشاركة في تسلم المواقع الحكومية، ومتابعة إخراج الصكوك الشرعية الخاصة بها، والقيام بتأجير الأراضي الحكومية، وتحصيل الزكاة الشرعية من المكلفين على جميع الأنشطة المختلفة من عروض تجارة ومهن، وإبلاغ الخراص لخرص المزارع وجبايتها وتوزيعها على المستحقين بجهة خرصها سواءً أكانت حبوباً مختلفه أم ثماراً، وصرف عوائد المواطنين السنوية، والقيام بتسليم التعويضات وصرف الإعانات لمتضرري السيول والأمطار، وأحياناً المشاركة في بيع الأثاث التالف لدى الأجهزة الحكومية، وغير ذلك من الواجبات المدونة في وثائق وسجلات وزارة المالية وفروعها [٤].

٥- إدارة الجمرك:

جمرك القنفذة يمارس الخدمات الجمركية منذ عهد الحكم العثماني الثاني (١٢٨٩-١٣٣٧هـ/١٨٧٢-١٩١٨م)، وفي عهد الدولة السعودية الحالية صار مرتبطاً إدارياً بمالية القنفذة، وأول مدير له محمد أحمد رستم (١٣٤٣-١٣٥٠هـ/١٩٢٤-

---

(١) لا نجد ذكراً لمن تولى الإدارة من عام (١٣٦٥-١٣٦٩هـ/١٩٤٥-١٩٤٩م) و(١٣٧٢-١٣٧٥هـ /١٩٥٢-١٩٥٥م). انظر: مذكرة الإدارات الحكومية بالقنفذة، والقنفذة تاريخ وتطور، ٤٠ .

(٢) كان الناشري في هذا العام يقوم بإدارة بنك التسليف، بالإضافة إلى عمله في المالية.

(٣) مذكرة الإدارات الحكومية، ومذكرة الأستاذ عبد الله بن عيسى الحازمي، وهاتان المذكرتان توجدان ضمن أوراق مكتبة الباحث، للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب، ح٢، ص٣٦٤-٣٦٥ .

(٤) مذكرة عبد الله عيسى الحازمي، الأصل والصورة ضمن أوراق مكتبة الباحث، ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ص٣٦٤- ٣٦٦ .

١٩٣١م)، وناصر احمد كابلي (١٣٥٠-١٣٦٠هـ/ ١٩٣١-١٩٤١م)، ومحمد صالح التركي (١٣٦٠-١٣٦٢هـ/١٩٤١-١٩٤٣م)، ومحمد نور ترابي (١٣٦٢-١٣٦٥هـ/١٩٤٣-١٩٤٥م)، والسيد هاشم عامر (١٣٦٥-١٣٦٦هـ/ ١٩٤٥-١٩٤٦م)، ومحمد عبد الرحمن عسيري بالوكالة (١٣٦٦-١٣٧٥هـ/ ١٩٤٦-١٩٥٥م)، ومحمد مصطفى الشنقيطي (١٣٧٦-١٤٠١هـ/١٩٥٦-١٩٨٠م)[١].

٦ ـ مأمورية البندرول :

مصلحة البندرول من الإدارات الرئيسية التابعة لوزارة المالية، أنشئت لتقوم بشؤون رسوم الدخان، والإشراف على زراعته وكيفية نقله بين مناطق الإنتاج، وموانئ الاستيراد، ومناطق الاستهلاك، ولها فروع في كل من جدة، وينبع، ومكة المكرمة، والمدينة المنورة، والطائف، وأبها، والليث، والقنفذة [٢]. وأول مدير لهذه الإدارة في القنفذة محمد عبد الواسع (١٣٥٤-١٣٥٥هـ/١٩٣٥-١٩٣٦م)، وفؤاد خورشيد (١٣٥٦-١٣٦٦هـ/١٩٣٧-١٩٤٦م). ويذكر أنه تم إلغاؤها عام (١٣٥٨هـ/ ١٩٣٩م) [٣]. والصحيح أنها استمرت تعمل حتى عام (١٣٦٦هـ/١٩٤٦م)[٤].

٧ ـ إدارة الميناء :

ميناء القنفذة قديم العهد إذ كان مرفأ تجارياً هاماً منذ القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين / السادس عشر والسابع عشر الميلاديين. وفي العصر السعودي الحالي صار إدارة مستقلة تتبع إدارة الموانئ، ثم إدارة خفر السواحل بجدة ثم القنفذة، وأخيراً أصبح تابعاً لإدارة ميناء جدة الإسلامي من عام (١٣٩٥-١٤١٤هـ/ ١٩٧٥-١٩٩٣م)[٥]. وأول مدير لهذا الميناء، عبد الله صالح مطر (١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م)، ومحمد صالح مطر (١٣٦١-١٣٦٦هـ/١٩٤٢-١٩٤٦م)، ومحمد أحمد بالبيد (١٣٦٦-١٣٨٨هـ/ ١٩٤٦-١٩٦٨م) وعبد الرحمن أحمد با وهاب (١٣٨٨-١٣٩٨هـ/١٩٦٨-١٩٧٧م)[٦] وبركات

---

(١) كان الجمرك مضموماً في هذا التاريخ مع المالية تحت رئاسة مدير واحد هو السيد محمد الشنقيطي. للمزيد انظر: مذكرة الإدارات الحكومية، والقنفذة تاريخ وتطور، ٤٢ .

(٢) انظر: إبراهيم بن عويض العتيبي. تنظيمات الدولة في عهد الملك عبد العزيز (١٣٤٣-١٣٧٣هـ / ١٩٢٤ – ١٩٥٣ م) (الرياض : مكتبة العبيكان، ١٤١٤ هـ / ١٩٩٣ م) ص ٢٥١ .

(٣) المرجع نفسه .

(٤) للمزيد انظر: القنفذة تاريخ وتطور، ٤٣ ـ ٤٤، ومذكرة الإدارات الحكومية بالقنفذة .

(٥) المرجعان نفسهما .

(٦) كان مديراً للميناء ثم عدل اسم الميناء والوظيفة فأصبح يلقب بـ (مأمور مرفأ) . القنفذة تاريخ وتطور، ٤٤ .

محمد المتحمي (١٣٩٨-١٤١٣هـ/١٩٧٧- ١٩٩٢م)، وعلي زيدي الزبيدي، مأمور مرفأ بالوكالة (١٤١٣- ١٤١٤هـ/١٩٩٢-١٩٩٣م) . وأخيراً تم إلغاء هذه الإدارة عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ونقلت أوراقها وسجلاتها إلى إدارة ميناء جدة الإسلامي[١] .

٨ ـ البلدية :

هذه الإدارة موجودة مع بداية الحكم السعودي للقنفذة عام (١٣٤٣هـ/١٩٢٤م)، لكن أقدم الوثائق التي اطلعنا عليها تشير إلى بدايتها في عامي (١٣٥٢.٥١هـ/٣٢ ـ ١٩٣٣م)، وكانت تتبع إدارة البلديات التابعة لوزارة الداخلية، ثم وكالة وزارة الداخلية للشؤون البلدية، ومنذ عام (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) أصبحت تابعة لوزارة الشؤون البلدية والقروية . وأول رئيس لهذه الإدارة محمد تنبكاني منذ تأسيسها إلى عام (١٣٦٥هـ/١٩٤٥م)، ويعمل معه عند التأسيس أربعة موظفين فقط[٢] .ثم جاء بعده عمر محمد باجعفر، ومحمد رستم، وإبراهيم رشيد، وهؤلاء المديرون الثلاثة تعاقبوا على إدارة البلدية ما بين (١٣٦٥ـ ١٣٧٠هـ/ ١٩٤٥ـ١٩٥٠م)[٣]، وعبد الغني إبراهيم مرزا (١٣٧١ـ ١٣٩٠هـ/ ١٩٥١ـ١٩٧٠م)، ومحمد إبراهيم النفيسة (١٣٩٠ـ١٤٠٢هـ/١٩٧٠ـ ١٩٨٢م)، وسعيد بالبيد (لمدة ثلاثة شهورعام١٤٠٢هـ/١٩٨٢م)، وعبد الله محمد باجعفر (١٤٠٢ـ١٤٠٨هـ/١٩٨٢ـ١٩٨٧م)، وإبراهيم عبد الله الصفار (١٤٠٨ـ١٤١٢هـ/ ١٩٨٨ـ١٩٩٢م)، وبلغيث بن هادي محمود (١٤١٢ـ١٤١٣هـ/ ١٩٩١ـ١٩٩٢م)، والمهندس مصبح بن عساف الغنيم (١٤١٣/٧/٢٣-١٤٢٤هـ/ ١٩٩٢-٢٠٠٣م) [٤] .

وتأسس المجمع القروي ببلدة القوز عام (١٣٩٧هـ/١٩٧٦م)، وتوالى على إدارته خمسة مديرين حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) هم : حمد سالم المبارك (١٣٩٧ـ ١٤٠١هـ/١٩٧٦-١٩٨٠م)، وصالح سلطان السبيعي (١٤٠١-١٤٠٦هـ/ ١٩٨١-

---

(١) المرجع نفسه، الإدارات الحكومية بالقنفذة .

(٢) مذكرة وصلتنا من رئيس بلدية القنفذة المهندس مصبح عساف غنيم في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) . أصل وصورة المذكرة ضمن أوراق مكتبة الباحث، للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب ، ج٢، ٣٦٦ .

(٣) انظر : مذكرة الإدارات الحكومية بالقنفذة، والقنفذة تاريخ وتطور، ٣٨ .

(٤) المرجعان نفسهما . يذكر المهندس مصبح في المذكرة التي أرسلها لنا أسماء بعض المديرين وتواريخ إدارتهم مع ظهور بعض الاختلافات في ترتيبهم وسنوات عملهم فيقول : (عبد الغني مرزا (١٣٧٠ـ١٣٩٤هـ) وعبد الرحمن محمد النفيسه (١٣٩٥ـ١٤٠٢هـ) وعبد الله محمد باجعفر (١٤٠٣ـ١٤٠٨هـ) وإبراهيم بن عبد الله الصفار (١٤٠٩ـ١٤١٢هـ)، ومصبح بن عساف الغنيم (١٤١٣ـ حتى تاريخ تدوين مذكرته عام/١٤٢٤هـ)، للمزيد انظر: عبد اللطيف، ٨٨ وما بعدها، انظر أيضاً : ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ٣٦٦ـ٣٦٧ .

١٩٨٥م)، وصالح زيد العميم (١٤٠٦-١٤١٤هـ/١٩٨٦-١٩٩٣م)، ومهدي محمد أبو الزور العياف (١٤١٤-١٤١٩هـ/١٩٩٤-١٩٩٨م)، ومحسن بن ناصح البقمي (١٤١٩-١٤٢٤هـ/١٩٩٩-٢٠٠٣م)[١]. كما صدر القرار الوزاري بتحويل المجمع القروي بالقوز إلى بلدية في شهر شوال عام (١٤٢١هـ)

٩ـ المحاكم وكتابة العدل :

أ ـ المحاكم :

تعد المحاكم الشرعية من أولى المؤسسات الإدارية التي أنشئت في القنفذة، ونجد مؤلف كتاب: **تاريخ القضاء في العهد السعودي**، يذكر بعض التفصيلات عن سبع محاكم شرعية في منطقة القنفذة[٢]، وهي المحكمة الكبرى في بلدة القنفذة، ومحكمة البرك، ومحاكم العرضية الجنوبية، والشمالية، وحلي، والمظيلف، والقوز[٣] .ويورد بعض التراجم لبعض القضاة الذين تولوا تلك المحاكم منذ نشأتها حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م)[٤] . وذكر أمثلة كثيرة لبعض القضاة النشطين الذين كانوا يسعون إلى تفقيه كثير من الناس في أمور دينهم، ومحاربة البدع والشركيات التي كانت منتشرة عند سكان الجزيرة العربية، بالإضافة إلى عقد حلقات الدروس في المساجد، وإمامة الناس في جمعهم وجمعاتهم، وغير ذلك من الأعمال الخيرية التي مارسوها مع عملهم الرئيسي في القضاء[٥].

والقضاة الذين عملوا في محكمة القنفذة الرئيسية هم : محمد السالك الشنقيطي (١٣٤٢-١٣٥٦هـ/١٩٢٣-١٩٣٧م)، وسليمان بن علي الحسياني (١٣٤٨هـ/ ١٩٢٩م)، ومحمد بن صالح المقبل، وسليمان بن عبد العزيز السحيمي (١٣٤٩هـ/ ١٩٣٠م)[٦] . وعبد الحميد بن عبد الله حديدي (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، ومحمد بن علي

---

(١) القنفذة تاريخ وتطور، ٣٩، ١٠١ .
(٢) عبد الله بن محمد الزهراني . تاريخ القضاء والقضاة في العهد السعودي (١٣٤٤-١٤١٦هـ) (مكة المكرمة : مطابع بهادر، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، ٤/٥١٣-٥٧٦ .
(٣) المرجع نفسه .
(٤) المرجع نفسه .
(٥) المرجع نفسه .
(٦) القنفذة تاريخ وتطور، ١٤، للمزيد انظر: الزهراني، ٤/٥٢١ .

التويجري، وفيصل بن عبد العزيز آل مبارك[١]. وبكر كمال[٢]، وحمزة بن حسين البركاتي (١٣٥٦-١٣٦٨هـ/١٩٣٧-١٩٤٨م)، ومحمد بن صالح بن محمد بن سليم (١٣٦٧-١٣٦٨هـ/١٩٤٧-١٩٤٨م)[٣]. ومحمد التهامي (١٣٦٨-١٣٨٩هـ/ ١٩٤٨-١٩٦٩م)، وحامد محمد عطى (رئيسا للمحكمة) (١٣٦٩-١٣٧٢هـ/ ١٩٤٩-١٩٥٢م)، وإبراهيم راشد الحديثي (١٣٧٢- ١٢٨١هـ/١٩٥٢-١٩٦١م) (رئيساً للمحكمة)[٤]، وحسين أحمد باسندوه (١٣٨٤-١٣٩٧هـ/ ١٩٦٤-١٩٧٦م)[٥]، وعيسى بن علي الحازمي (١٣٨٢-١٤١٦هـ/١٩٦٢-١٩٩٥م)[٦]، ومحمد بن علي الشاردي (١٣٩٠-١٤١٦هـ/ ١٩٧٠-١٩٩٥م)[٧]، وعلي محمد زين السميري (١٤٢٠- حتى زيارتنا للقنفذة عام ١٤٢٤هـ/٩٩٩-٢٠٠٢م)[٨]، كما عمل قضاة آخرون في محكمة القنفذة مثل: محمد إبراهيم الراشد الحديثي، وبيشي بن حسن الحسني، وحمد بن محمد الرزين، ومحمد عبد الرحمن البعيجان[٩].

تأسست محكمة البرك في عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)، إلا أنه لم يسجل في السجلات من عمل بها إلا بدءا من عام (١٣٦٢هـ/١٩٤٣م)، و هي تخدم اليوم أكثر من ستة وخمسين قرية وهجرة[١٠]، وقد عمل بها الكثير من القضاة، ومنهم: عبد الله بن سليمان بن حميد (١٣٦٢-١٣٧٠هـ/١٩٤٣-١٩٥٠م)، وعبد الرحمن بن سليمان السديس(١٣٧٠-١٣٧١هـ/١٩٥٠-١٩٥١م)، وعبد الرحمن بن علي بن شيبان (١٣٧١-١٣٧٦هـ/ ١٩٥١-١٩٥٦م)[١١]، وحسن بن زيد (١٣٧٦- ١٣٧٨ هـ/ ١٩٥٦-١٩٥٨م)، ومحسن بن محمد بن جبران (١٣٧٨-١٣٨٣هـ/ ١٩٥٨-١٩٦٣م)،

---

(١) هذان القاضيان لم يذكر تاريخ عملهما في القنفذة، لكن فيما يبدو أنهما كانا في أوائل النصف الثاني من القرن الرابع عشر الهجري (العشرين الميلادي) الزهراني، ٣٨٦/٣.

(٢) لم نجد تاريخ عمله في القضاء بالقنفذة.

(٣) الزهراني، ٣٩٧/١-٣٩٨.

(٤) مذكرة الإدارات الحكومية، القنفذة تاريخ وتطور، ١٤.

(٥) انظر: ترجمته، الزهراني، ٥١٧/٤.

(٦) المرجع نفسه، ٥٢٤/٤.

(٧) تولى القضاء أكثر من ستة وعشرين عاماً، أغلبها في محكمة القنفذة الرئيسية.

(٨) الزهراني، ٥٣٢/٤، القنفذة تاريخ وتطور، ١٤.

(٩) الزهراني، ٥٢٣/٤، القنفذة تاريخ وتطور، ١٤، عبد اللطيف، ١٥٨.

(١٠) الزهراني، ٥٣٣/٤.

(١١) المرجع نفسه، ٥٣٤/٤.

وعبد الله مظهر (١٣٨٤-١٣٨٩هـ/١٩٦٤-١٩٦٩م)، وعلي أحمد سير مباركي (١٣٨٩-١٣٩١هـ/١٩٦٩-١٩٧١م)، ومحمد يحيى الصميلي (٩١-١٣٩٢هـ/ ٧١-١٩٧٢م)، ومحمد بن حسن محمد نجمي (٩٢-١٤٠٢هـ/٧٢-١٩٨١م)، وعبده حسن عكور(١٤١٢- حتى الآن ١٤٢٤هـ/١٩٩١-٢٠٠٣م)[١] .

وأنشئت محكمة العرضية الجنوبية عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م)، وتقوم بخدمة أكثر من مئتي قرية، أغلبها تنتسب في قبائل خثعم وشمران وبلقرن وغيرها[٢]، كما عمل بمحكمة العرضية الجنوبية بعض القضاة مثل: ناصر الصالح الغامدي (٧٢-١٣٧٤هـ/١٩٥٢-١٩٥٤م)، وعيسى بن علي الحازمي (٧٤-١٣٨٣هـ/١٩٥٤-١٩٦٣م)، ويحيى بن يحيى بهلول (٨٤-١٣٩٦هـ/ ٦٤-١٩٧٦م)[٣]، ومحمد بن إبراهيم كريري (٩٦-١٤٢٤هـ/ ٧٦-٢٠٠٣م) وغيرهم [٤]،

كانت نشأة محكمة العرضية الشمالية في عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٨م)، وتخدم هذه المحكمة أكثر من (٢٤٠) قرية وهجرة [٥]. ومن القضاة الذين عملوا بها محمد يحيى الصميلي (٨٧ ـ ١٣٨٩هـ/٦٧-١٩٦٩م)، وإبراهيم عبده الحربي (٨٩-١٣٩٦هـ/ ٦٩-١٩٧٦م) [٦]، ومحمد علي صلوي (١٣٩٧-١٣٢٤هـ/ ٧٦-٢٠٠٣م) [٧] .

---

(١) المرجع نفسه، ٤/٥٣٤-٥٣٥ . وهناك قضاة عملوا في البرك عن طريق الانتداب مثل: حسن بن زيد (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، وعيسى بن علي الحازمي (١٣٨٩هـ/١٩٦٩م)، ومحمد حسين عواف (١٣٩٩هـ/١٩٧٨م) المرجع نفسه، ٤/٥٣٥ . وللمزيد عن تراجم بعض القضاة الذين ورد ذكرهم في المتن، انظر: الزهراني، ٤/٥٣٥-٥٤٠.

(٢) المرجع نفسه، ٤/٥٤١ . عثرنا على وثيقة بتاريخ (١٣٨٢/٩/٢٢هـ) من قاضي العرضية الجنوبية إلى المطوع أحمد بن عبد الهادي آل وهاس، يذكر فيها استقامته ومثابرته على قراءة العديد من الكتب الشرعية، ثم ختمت هذه الوثيقة بختم المحكمة المدون عليه عام (١٣٦٨هـ) وهذا مما يؤكد أنها تأسست منذ ذلك التاريخ. وربما كان قاضي المحكمة انذاك عام (١٣٦٨هـ) محمد بن خالد ، وجاء بعده القاضي منصور الضلعان الوثيقة ضمن أوراق مكتبة الباحث، حصل عليها من الأستاذ عبد الله الرزقي في العرضية الجنوبية .

(٣) الزهراني، ٤/٥٤٢-٥٤٣ . كما يذكر أن منصور بن صالح الضلعان كان قاضياً في العرضية الجنوبية عام (١٣٧٢هـ/١٩٥٢م) . المرجع نفسه، ٤/٥٢١ ، للمزيد : انظر الحاشية السابقة .

(٤) انظر : للمزيد عن ترجمته، الزهراني، ٤/٥٤٤-٥٤٥ .

(٥) المرجع نفسه، ٤/٥٤٦-٥٤٧ .

(٦) مذكرة الإدارات الحكومية .

(٧) المرجع نفسه، ويدون الزهراني ترجمة لهذا القاضي، ويذكر أنه تولى القضاء بالعرضية الشمالية عام (١٣٩١هـ/١٩٧١م) ، المرجع السابق، ٤ /٥٤٩-٥٥١ .

وبدأت محكمة حلي عام (١٣٧٨هـ/١٩٥٨م) ومقرها في بلدة الصفة[١]، وعمل بها قضاة عديدون مثل: عبد الرحمن الفضلي (١٣٧٨-١٣٧٩هـ/ ١٩٥٨-١٩٥٩م)، وعبد الله بن إبراهيم الغفيلي (١٣٨٠هـ/١٩٦٠م)، ويحيى بهلول المدخلي (٧٩-١٣٨٣هـ/٥٩-١٩٦٣م)[٢] ، وإبراهيم عبده الحربي (٨٣ - ١٣٨٨ هـ/ ٦٨-١٩٦٩م)، ومحمد يحيى الصميلي (١٣٨٩.٨٨هـ/ ٦٨.١٩٦٩م) ويحيى علي شعبي (٨٩ - ١٤٠٠هـ/ ٦٩-١٩٧٩م)[٣]، وإبراهيم حماد زولي (١٤٠٠-١٤٢٤هـ/ ٨٠-٢٠٠٣م)[٤].

تأسست محكمة المظيلف عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، وتخدم هذه المحكمة قرى كثيرة مثل : المظيلف، ودوقة، والبحرة، والزاهرية، والبقاقير، والحدبة، والرفدة، والملاوحة، والرواشد، والعجالين، والعبادلة وغيرها [٥]. عمل بها كثير من القضاة مثل : محمد عبد الكريم بن سليمان (منذ عام (١٣٧٩هـ/١٩٥٩م)، وعلي سير مباركي (٨٤-١٣٨٦هـ/ ٦٤-١٩٦٦م)، ومحمد علي حمد (١٣٨٦هـ/ ١٩٦٦م) [٦]. وعبد الله أحمد مطهر (٨٦-١٤٠٠هـ/٦٦-١٩٨٠م)[٧]. وأحمد جابر الشهراني (١٤٠١-١٤٠٢هـ/٨١-١٩٨٢م)، ومحمد علي بجوي (١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م) [٨]، ومحمد أحمد زيد الشمراني (١٤٠٤-١٤٢٤هـ/ ١٩٨٤-٢٠٠٣م)، وسعيد بن علي الغامدي (١٤٠٢-١٤٠٣هـ/٨٣-١٩٨٣م)[٩]. وعبد الله بن مرعي بن عائض (١٤٠٨-١٤١١هـ/٨٧-١٩٩٠م)، ومجري مبارك دخيل الأكلبي (١٤١٢-١٤٢٤هـ/٩١-٢٠٠٣م)[١٠] .

---

(١) الزهراني، ٤/٥٧٠ .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) المرجع نفسه، ٤/٥٧٠.٥٧١ كما يظهر في مذكرة الإدارات الحكومية اختلاف يسير في تواريخ بداية ونهاية عمل هؤلاء القضاة المذكورين في المتن . للمزيد انظر: تلك المذكرة .
(٤) انظر ترجمة، الزهراني، ٤/٥٧٣.٥٧٥ .
(٥) المرجع نفسه، ٤ /٥٥٩ .
(٦) المرجع نفسه، ٤/٥٦٠
(٧) انظر ترجمته، الزهراني، ٤/٥٦٣ـ ٥٦٤ .
(٨) المرجع نفسه، ٤/٥٦٠ .
(٩) انظر ترجمته، الزهراني، ٤/٥٦٥ـ ٥٦٧ .
(١٠) المرجع نفسه، ٤/٥٦٠، انتدب لهذه المحكمة عدد من القضاة مثل : عيسى الحازمي، وأحمد بن زيد، وأحمد بن محمد الأمير، وعلي بن محمد بن زين السميري، وعلي بن شيبان العامري، وبيشي الحسني. المرجع نفسه، ٤/٥٦٠ـ ٥٦١ .

ومحكمة القوز أنشئت عام (١٤٠١هـ/١٩٨٠م)، وتخدم أكثر من (٣٥) قرية[١]، عمل بها الشيخ عيسى الحازمي بالإضافة إلى عمله رئيسا لمحاكم القنفذة عام (١٤٠١-١٤٠٢هـ/٨٠-١٩٨١م)، وسليمان بن محمد الربعي (١٤٠٣-١٤٢٤هـ/ ٨٢-٢٠٠٣م)[٢]، ومحمد الناشري (١٤١٥- ١٤٢٤هـ/ ٩٤-٢٠٠٣م)[٣].

ب. كتابة العدل :

كتابة العدل جزء من أعمال المحكمة الشرعية بالقنفذة، وفي عام (١٣٥٩هـ/١٩٤٠م) أصبحت إدارة مستقلة، وتعين الشيخ محمد عمر الجاسر أول كاتب عدل لها، ومعه كاتب عدل واحد يدعى حسين محمد مشني، واستمر في عمله حتى عام (٨٥هـ/١٣٨٦هـ /١٩٦٦م)[٤]،وجاء بعده الشيوخ عبد الله عبده الحكمي (٨٥-١٣٩٨هـ/٦٥-١٩٧٧م)، ويحيى علي عكور (٩٨-١٤٠٢هـ/ ٧٧-١٩٨١م)، وعبد الرحمن أحمد بانقيب (١٤٠٢-١٤١٨هـ/٨١-١٩٧٧م)، وصالح بن علي القرني (١٤١٩-١٤٢٤هـ/ ٩٨-٢٠٠٣م)[٥].

بدأت كتابة عدل العرضية الجنوبية عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٣م)، وتولى إدارتها عبد الحليم شاهين (١٦-١٤١٧هـ / ٩٥-١٩٩٦م)، ويحيى إبراهيم كريري (١٤١٧-٢٠/١٤٢١هـ/٩٦-٢٠٠٠م)[٦].

أما كتابة عدل القوز فقد أنشئت عام (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)، ومن القضاة الذين تولوا إدارتها، سعد بن رقبة (١٤١٣-١٤١٤هـ/٩٢-١٩٩٣م)، ويحيى إبراهيم عكور (خلال شهري رمضان وشوال ١٤١٤هـ/١٩٩٤م)، ورعد نزار الشريف (١٤١٤-١٤١٦هـ/ ١٩٩٤-١٩٩٥م)، ومحمد عبد الله عكور (صفر١٤١٥-١٤١٦هـ/٩٤-١٩٩٥)، وعبد الرحمن أحمد بانقيب (١٤١٦- ١٤١٧هـ/٩٦-١٩٩٧م)[٧].

---

(١) المرجع نفسه، ٥٥٢/٤ .

(٢) المرجع نفسه، وقد عمل بها بعض القضاة على هيئة انتداب مثل: محمد بن علي الشاردي، وعلي بن محمد زين السميري .

(٣) انظر ترجمته، الزهراني، ٥٥٥/٤ـ٥٥٦ .

(٤) القنفذة تاريخ وتطور، ١٥، مذكرة وصلتنا من كاتب عدل القنفذة في (١٤٢٤/٥/٨هـ/٢٠٠٣م) صالح القرني، ويذكر أن محمد الجاسر تولى عدل القنفذة في عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) أصل وصورة المذكرة ضمن أوراق مكتبة الباحث، انظر : ابن جريس، القول، ج٢، ٣٧٠ .

(٥) المراجع نفسها .

(٦) مذكرة الإدارات الحكومية .

(٧) المرجع نفسه .

١٠. المؤسسات الصحية :

ظهر أول مركز رعاية صحية بالقنفذة عام (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م)، وكان يتبع إدارياً مصلحة الصحة العامة بالحجاز، وفي عام (١٣٦٩هـ/١٩٤٩م)، أصبحت طبابة القنفذة تراجع صحة أبها [١]، وفي عام (١٣٧٦هـ/١٩٥٦م) انتقلت تبعيتها الإدارية إلى مندوبية الساحل الغربي بجدة، ومن عام (٨٠-١٣٨٢هـ/٦٠-١٩٦٢م) أصبحت تابعة للشؤون الصحية في جدة [٢]، وأنشئ بالقنفذة مركز صحي عام (١٣٥٤-١٩٣٥م) [٣]. وربط بإدارة مركز الحجر الصحي بجدة، ثم ضم عمله إلى مهمة مركز صحي القنفذة.

وعمل في قطاع الصحة أعداد كثيرة من الأطباء والفنيين ومنهم من تولى إدارة الشؤون الصحية في المنطقة مثل : د/محمد مصطفى علام (٥٧-١٣٥٨هـ/ ٣٨-١٩٣٩م)، ود. أكرم البيطار (٥٨- ١٣٦٣هـ/ ٣٩-١٩٤٣م) [٤]. والطبيب والمراقب الصحي، عبد الكريم سكرية، وصالح الأحمدي [٥]. ثم الأطباء (صالح مصطفى زكي (٧١-١٣٧٣هـ/ ٥١-١٩٥٣م)، ومحمد موسى الريس (٧٣-١٣٧٩هـ/ ٥٣-١٩٥٩م)، ورأفت مصطفى (٧٩-١٣٨٠هـ/٥٩-١٩٦٠م)، وعبد الله خليل مصطفى (٨١-١٣٨٤هـ/ ٦١-١٩٦٤م)، ومحمد أفضل(٨٥-١٣٩١هـ/ ٦٥-١٩٧١م)، ومحمد شير فضل (٩٥-١٣٩٦هـ/٧٥-١٩٧٦م) [٦] وأمين أزهري.

---

(١) خلال هذا التاريخ، والأعوام القليلة السابقة كان هناك إدارات حكومية في القنفذة تستمد قراراتها من إداراتها الرئيسية في أبها بمنطقة عسير. انظر كتابي ابن جريس، أبها حاضرة عسير، وعسير في عصر الملك عبد العزيز.

(٢) مذكرة الإدارات الحكومية، القنفذة تاريخ وتطور، ٤٧، للمزيد انظر: عبد اللطيف، ١٢٨ وما بعدها .

(٣) عرفت القنفذة الخدمات الطبية منذ العهد العثماني، ومنذ حكم آل عائض لمنطقة عسير، بل تذكر بعض المصادر أنه كان يوجد في ميناء القنفذة محجر صحي، تشرف عليه الحكومة العثمانية (١٢٨٢-١٣٣٣هـ/١٨٦٥-١٩١٤م)، وبه بعض الأطباء والموظفين الذين يمارسون عملهم الطبي ويسعون إلى محاربة الأمراض المعدية التي تنتقل مع التجار والحجاج أثناء ذهابهم وإيابهم من هذا الميناء تجاه الحجاز أو اليمن، والهند . للمزيد انظر: جولدن صاري يلدز . الحجر الصحي في الحجاز(١٨٦٥-١٩١٤م) . ترجمة عبد الرزاق بركات (الرياض : مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، ١٤٢٢هـ/٢٠٠١م)، ٦٧، ٦٨، ٧١، ١٢٠، ١٢٤، ١٤١، ٢١٤، ٢٩٧ .

(٤) القنفذة تاريخ وحضارة، ٤٧ .

(٤) لم نجد تاريخ إدارتهما ولكنهما كانا بين عامي (٦٣-١٣٧٠هـ/٤٣-١٩٥٠) . مذكرة الإدارات الحكومية .

(٥) كلف الأستاذ / أحمد إبراهيم صعيدي مديراً لإدارة المستوصف بالقنفذة من عام (٩٤-١٤٠٠هـ/٧٤-١٩٨٠م)، ثم استحدثت إدارة المراكز الصحية عام (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، وعين مديراً لهذه الإدارة من عام (١٤٠٠-١٤١٣هـ/٨٠-١٩٩٢م) . مذكرة الإدارات الحكومية، القنفذة تاريخ وتطور، ٤٧ .

(٦) المرجع نفسه عبد اللطيف، ١٢٨ .

وافتتح مستشفى القفنذة العام عام (١٤٠٥-١٤٠٧هـ /٨٥-١٩٨٧م)، وتعين مديراً له الأستاذ علي حسن الفقيه (١٤٠٥-١٤٠٧هـ/ ٨٥- ١٩٨٧م) ثم د.علي عبد الله الفقيه (١٤٠٧-١٤٠٩هـ/٨٧ - ١٩٨٩م)، ود. سامي عبد الإله بخاري (١٤٠٩هـ/١٩٨٩م)، والأستاذ علي حسن الفقيه مرة ثانية (١٤٠٩-١٤١٨هـ/ ٨٩-١٩٩٧م)، وإبراهيم عيسى الحازمي (١٣١٨- ١٤٢٤هـ/ ٩٧-٢٠٠٣م) [١] .

تأسس مركز الهلال الأحمر في بلدة القنفذة عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٣م)، وتعاقب على إدارته حتى عام (١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م) خمسة مديرين هم : عمر محمد مغربي عند النشأة، ثم تلاه حسين سالم القوزي، وعلي محمد علي قرون[٢]، وخالد عبد الله الدخيل (١٤١٦- ١٤١٧هـ/ ٩٥- ١٩٩٦م) و محمد كريدم محمد الزبيدي(١٤١٧-١٤٢٠هـ/ ٩٧-٢٠٠٠م) [٣] .

١١.الأوقاف :

عرفت أوقاف القنفذة منذ عام (١٣٥١-١٣٣٧هـ/١٨-١٩٣٢م) تحت إشراف الشيخين أحمد السقاف، وعبد الرحمن بن عبود باسندوه[٤]، وفي عام (١٣٨١هـ / ١٩٦١م)، صارت ضمن فرع وزارة الحج والأوقاف بمكة المكرمة، وفي عام (١٤١٤هـ/١٩٩٤م) تحولت إلى فرع وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد بمكة . وتوالى على إداراتها: محمد سعيد باموسى (١٣٥٢هـ/١٩٣٣م)، وعبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد باسندوه (٦٩- ١٣٨٢هـ / ٤٩-١٩٦٢م)، وبتال عماش المرزوقي (٨٢ - ١٣٨٦هـ/ ٦٢- ١٩٦٦م)، وعلي عثمان باوهاب (٨٦-١٤٠٥هـ/ ٦٦-١٩٨٤م)، ومحمد أحمد بالبيد رجب (١٤٠٥هـ/١٩٨٤م)، وبلقاسم بن علي قاضي (١٤٠٥- ١٤١٩هـ / ٨٥- ١٩٩٨م)، ومحمد مشاري الراشدي (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)[٥] .

---

(١) المرجع نفسه، عبد اللطيف، ١٢٨ .

(٢) لا نجد تواريخ دقيقة لعمل المديرين الثلاثة الأول بالمركز .

(٣) مذكرة الإدارات الحكومية، القنفذة تاريخ وتطور، ٤٩ـ ٥٠ .

(٤) المرجعان نفسهما .

(٥) المرجعان نفسهما .

١٢ ـ هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

وصلتنا مذكرة من مدير عام فرع الرئاسة العامة بمنطقة مكة المكرمة الشيخ جابر بن محمد الحكمي برقم (٢٣٢٤/٧/٢٢وتاريخ (١٤٢٤/٤/١٨هـ) يرد فيها على خطاب لنا إلى عموم المؤسسات الحكومية في القنفذة بتاريخ (١٤٢٤/٤/٧هـ)[١]. يقول فيها بعد البسملة والديباجة .أولاً: تأسست هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بمحافظة القنفذة عام (١٣٦٩هـ) وكان أول رئيس لها هو الشيخ / سالم بن عوض الميرابي وذلك عام (١٣٦٩هـ إلى نهاية ١٣٧٣/٧/١هـ)، وهناك عدد من المشائخ الذين تولوا رئاسة هيئة القنفذة، مثل: الميرابي، وعبد الله بن صالح العواد (١٣٧٣/٧/١ـ١٣٧٧/٨/١هـ) ومحمد بن مانع من عام (١٣٧٧هـ/١ـ١٣٨٣/٩هـ)، وإبراهيم بن علي السحيباني من (١٣٨٣/٩/١هـ/ ١٣٨٥/٣/١٢م) وحسين الشنبري من (١٣٨٥/٣/١٥هـ/ ١٣٩٤/٧/١هـ)[٢]، وعبد الله بن أحمد هباد،وعبد الرحيم بن محمد المدحمي إلى نهاية (١٤١٥هـ) وأحمد بن محمد الشمراني إلى نهاية (١٤١٧هـ)، وخميس بن عبد الرحمن الزهراني حتى نهاية (١٤٢٤/٤/١١هـ)، وعبد الله بن حسن الأسمري ولايزال على رأس العمل حتى تاريخه، وكانت تتلقى الأوامر والتعليمات من فرع منطقة مكة المكرمة " الغربية سابقا "[٣].

والمراحل التي مرت بها إدارة هيئة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في القنفذة تتكون من مرحلتين: المرحلة الأولى من تاريخ تأسيسها عام(١٣٦٩هـ) عندما كانت باسم مركز هيئة القنفذة . والمرحلة الثانية: بعد صدور قرار المناطق رقم(٢٠٦/أ/ط وتاريخ ١٤١٥/٤/٥هـ) بتقسيم محافظات المملكة العربية السعودية إلى فئتين فئة (أ) فئة (ب) وكانت هيئة القنفذة فئة (أ) بحيث أصبح مسمى الهيئة (هيئة محافظة القنفذة) بدلاً من (مركز هيئة القنفذة) ويتبع لهيئة القنفذة عدة مراكز في المظيلف، والعرضيتين (الجنوبية والشمالية)، وفي القوز، وحلي .

---

(١) أصل وصورة هذه المذكرة والخطابات ضمن أوراق مكتبة الباحث، عبد اللطيف، ١٥٦، للمزيد انظر: ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ٣٧٢ .

(٢) يذكر أن محمد أحمد الشمراني تولى رئاسة الهيئة بالقنفذة من عام (١٣٩٠-١٤١٠هـ/٧٠-١٩٨٩م) . مذكرة الإدارات الحكومية .

(٣) مذكرة الشيخ جابر محمد الحكمي، أصلها وصورتها ضمن أوراق مكتبة الباحث، للمزيد انظر: عبد اللطيف، ١٥٩، انظر: ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب ، ج٢، ٣٧٢ـ٣٧٤ .

١٣ـ إدارة إحصاء النفوس :

أنشئت هذه الإدارة عام (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، وعدت من أقسام الإمارة آنذاك، ثم نقلت تبعيتها إلى شرطة القنفذة عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م)، ثم إلى إدارة الجوازات العامة بالرياض في (١٣٨٣هـ/١٩٦٣م)[١]. وتعاقب على إدارتها عدة مديرين هم: محمد عبد الله باجعفر (١٣٥٥هـ/١٩٣٦م)، ومحمد عبده بنان (٥٩- ١٣٧١هـ /٤٠- ١٩٥١م)، وحسين أحمد بدوي الفقيه (٧١-١٣٨٧هـ/ ٥١-١٩٦٧م)، ومحمد عبد العزيز عبد السلام (عدة شهور من عام (١٣٨٧هـ/ ١٩٦٧م)، وحسين أحمد بدوي الفقيه، ومحمد عبده بنان مرة ثانية من (٨٧-١٤٠٥هـ/٦٧-١٩٨٤م)، وسعد الغامدي (شهور من عام ١٤٠٥هـ/ ١٤٠٦هـ.١٩٨٦م) ومحمد أحمد العاقل(١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، وعوض بن عمر سليمان (١٤٠٦-١٤٢٠هـ/٨٦ -١٩٩٩م)[٢] .

ومن الفروع التابعة لهذه الإدارة: فرع البرك الذي أنشئ عام (١٤٠٥هـ/١٩٨٥م)، وتولى إدارته ناصر مساوي عسيري على فترتين (١٤٠٥-١٤٠٩هـ/٨٥-١٩٨٩م) و(١٤١٥-١٤٢٠هـ/٩٤-١٩٩٩م)، ومحمد أحمد الفقيه (١٤٠٩-١٤١٥هـ/ ٨٩- ١٩٩٥م) . وفرع العرضية الجنوبية الذي تأسس عام (١٤٠٦هـ/١٩٨٦م)، وتولى إدارته محمد أحمد العاقل الفقيه (١٤٠٦-١٤٠٧هـ/٨٦-١٩٨٧م)، ومبارك حسن البحيري (١٤٠٧- ١٤٢٠هـ/ ٨٧-١٩٩٩م)[٣].

١٤ـ إدارة الشرطة :

بدأت هذه الإدارة عام (١٣٦٧هـ/١٩٤٧م)، وكانت تتبع في أول الأمر إلى إدارة الأمن العام، ثم انتقلت مرجعيتها إلى مديرية شرطة مكة المكرمة، وتولى إدارتها منذ النشأة حتى عام (١٤١٧- ١٩٩٦م) سبعة وعشرون مديراً، أولهم محمد علي طائفي (٦٧-١٣٦٨هـ/ ٤٧-١٩٤٨م)، وآخرهم في عام (١٤١٧هـ/١٩٩٦م) إبراهيم محمد صالح أبو راس . والواضح قصر مدة إدارة معظم هؤلاء المديرين، فكان الواحد منهم لا يمكث في إدارته إلا عامين أو ثلاثة فقط، ثم يتم نقله إلى موقع آخر . والسبب في ذلك ربما يعود إلى عدم رغبة أولئك المديرين في البقاء في القنفذة لأجل قلة الخدمات

---

(١) مذكرة الإدارات الحكومية .
(٢) المرجع نفسه .
(٣) المرجع نفسه .

بهـا، وبعدها عن المدن الرئيسيـة في المملكة مثل: جدة والرياض وغيرها، وكذلك ضيق طريقها الساحلي الذي يربطها بالحجاز[١].

١٥. مركز الدفاع المدني:

تم إنشـاء هـذا المركز عـام (١٣٨٨هـ/١٩٦٨م)، وأول مدير له طـه محمد سعيد خضـري، الذي قضى فقط ثلاثة أشهر عنـد التأسيس ثم تلاه خمسة عشر مديراً حتى عـام (١٤١٠هـ/١٩٨٩م) وجميع هـؤلاء المديرين نالهم ما جرى علـى مديري الشرطة في قصـر مـدة كل واحد منهم؛ فبالإضافة إلى ما ذكرنا مـن أسباب سابقة، إلا أن من طبيعـة هذه القطاعات العسكريـة أن تحدث تنقلات لمديري إداراتها بين وقت وآخر كي يتم صقلهم عسكرياً وإفادتهم أيضاً بالمزيد من التجارب والخبرات[٢].

١٦. إدارة السجن:

بـدأت هـذه الإدارة بالقنفذة في عـامٍ (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م)[٣]، وألحقـت في بادئ الأمـر بإمارة القنفذة، ثم الشرطة وأخيراً أصبحـت إدارة مستقلة من عام (١٣٨٧هـ/١٩٦٧م)، بعـد أن انفصلـت إدارة السجـون العامة عن إدارة الأمـن العام وتعاقب على إداراتهـا ثمانيـة مديرين أولهم عبد الله بن عبد الرحمن بن حسن، باسم مأمور سجن القنفذة (١٤١٣هـ/١٩٩٢م)[٤].

١٧. إدارة خفر السواحل (حرس الحدود):

ظهـرت هـذه الإدارة في البداية كدورية من الهجانة بريـاً بجوار السواحل البحرية لمدينـة القنفـذة، ومقرها في وادي هارون شرق البلدة بـ(٥كـم)، ودورية ثانية في داخل الميناء، وهاتان الدوريتان تتبعان إدارة خفر السواحل بجدة منذ نشأتها عام (١٣٥٠هـ/١٩٣١م)[٥]. تعاقـب على هـذه المؤسسة حوالي سبعة عشر مديراً منـذ نشأتها الفعلية عام (١٣٧٠هـ/١٩٥٠م)، والخمسة الأول منهم أطلق علـى الواحد منهم (رئيس خفر

---

(١) للمزيد انظر: مذكرة الإدارات الحكومية، والقنفذة تاريخ وتطور، ١٦-١٧، للمزيد انظر: عبد اللطيف، ١٠٧، واليوم أصبحت القنفذة أحسن حالاً في مجالي التنمية والتحضر عما كانت عليه في العقود الماضية المتأخرة
(٢) مذكرة الإدارات الحكومية.
(٣) كان السجـن موجـوداً في القنفـذة منـذ العهـد العثماني، واستمـر مع بداية العهـد السعـودي. ومنذ عام (١٣٦٨هـ/١٩٤٨م) أصبح يتشكل على هيئة قسم يمارس الأعمال المنوطة به.
(٤) القنفذة تاريخ وتطور.
(٥) وأخيراً صارت مرتبطة بـ (قيادة حرس الحدود). انظر: مذكرة الإدارات الحكومية.

السواحل) أما الباقون فكانوا يلقبون باسم (قائد قطاع سلاح الحدود بالقنفذة) ، ومنذ عام (١٤٢٠هـ/١٩٩٩م) تغير هذا الاسم إلى (قائد حرس الحدود) بالمحافظة[١] .

١٨. الجوازات، المرور، وحدة مكافحة المخدرات :

وصلنا ثلاث مذكرات من مديري هذه المؤسسات في شهر ربيع الآخر (١٣٢٤هـ/٢٠٠٣م) ، وجميعهم أفادونا ببعض المعلومات التي طلبناها في خطابنا المرسل لعموم الإدارات الحكومية في ذلك العام . فالعقيد محمد بن سالم المنتشري، مدير شعبة الجوازات يذكر في خطابه أن تاريخ تأسيس هذه الإدارة كان في (١٤٠٣/٣/١هـ /١٩٨٣م) ومقرها في الحارة الشرقية بجوار أسواق الهنيدي، ومديرها الأول هو : النقيب سليم بن حميد الحسني (١٤٠٣-١٤١٨هـ/ ٨٣ -١٩٩٧م) ، ويعمل معه في البداية ضابط واحد ، وسبعة أفراد ، وموظفان [٢] . ثم تلاه كل من المقدم علي بن حسن القرشي (١٤١٨-١٤٢٠هـ/ ٩٧-١٩٩٩م) ، ومحمد بن سالم المنتشري (٢٠-١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٠-٢٠٠٤م) . ويعمل بالإدارة في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) خمسة مستخدمين واثنان من العمال على بند الأجور[٣] . ويختص عمل هذه الإدارة بإصدار الإقامات وتجديدها ، وإصدار تأشيرات العودة والخروج النهائي، ونقل الكفالات، وتعديل المهن وتمديد الزيارات للأجانب[٤] .

وفي يوم (١٤٢٣/٩/١١هـ/٢٠٠٣م) انفصلت إدارة الوافدين عن إدارة الجوازات، وعين لها مديرٍ هو حسين قحصان آل مخلص، ثم تلاه منصور بن عساف العساف ولازال مديراً لها حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) ، وتختص هذه الإدارة بالمخالفين والمتخلفين والمجهولين، وما يرسل إليهم من سجناء من الإدارات الأمنية الأخرى بالمحافظة . كذلك تقوم بالدوريات اليومية لمتابعة مخالفي أنظمة الإقامة، أو المجهولين بدون إقامات والقبض عليهم وترحيلهم إلى بلادهم[٥] .

---

(١) المرجع نفسه .

(٢) مذكرة مدير شعبة الجوازات بالقنفذة، الأصل والصورة ضمن أوراق مكتبة الباحث . أول تسمية لهذه الإدارة كانت عام (١٣٧١هـ/١٩٥١م) ، وكانت ضمن إدارة الجنسية المسماة (إدارة الجوازات والجنسية) ، ومرتبطة في البداية بشرطة القنفذة، ثم انفصلت الجوازات بإدارة مستقلة في عام (١٤٠٣هـ/١٩٨٢م) . القنفذة تاريخ وتطور، ٢٣ ، انظر: ابن جريس، القول المكتوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ٣٧٨.

(٣) مذكرة المنتشري، أصل وصورة ضمن أوراق مكتبة الباحث .

(٤) المصدر نفسه .

(٥) المصدر نفسه .

أنشئت إدارتا المرور ووحدة مكافحة المخدرات في عام (١٤٠٧هـ/١٩٨٦). وتعاقب على إدارة المرور حتى عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)، سبعة مديرين[١] أولهم النقيب خالد عبد الله الدهاس، وآخرهم صالح عويض الجعيد (١٤٢٠-١٤٢٤هـ/ ١٩٩٩-٢٠٠٤م)، الذي يعمل معه ثلاثة وعشرون فرداً بمختلف الرتب أثناء زيارتنا للقنفذة عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م)[٢].

أما وحدة مكافحة المخدرات، فوصلتنا مذكرة من مدير هذه الوحدة، المقدم عبد الله بن إبراهيم الدوسري، بتاريخ (١٤٢٤/٤/٩هـ)، قال فيها: (تأسس هذا القسم بتاريخ (١٤٠٧/٧/١هـ) تحت مسمى (وحدة مكافحة المخدرات بالقنفذة)، ويعمل به اثنان من الضباط وحوالي أربعين فرداً، ومقره عبارة عن وحدتين سكنيتين شعبيتين مستأجرتين بجوار بلدية القنفذة بمبلغ (٤٥) ألف ريال سنوياً، ومرتبطاً إدارياً ومالياً بالإدارة العامة لمكافحة المخدرات بالرياض[٣]. أما ما يتعلق بقضايا السجناء. فارتباطهم بأمير القنفذة آنذاك، ثم جرى تعديل اسم الوحدة إلى قسم، وزاد عدد العاملين به حتى أصبحوا ثلاثة ضباط وسبعين فرداً، وامرأة مفتشة تتولى عملية تفتيش النساء وحراستهن. وفي (١٤٢١/١٠/١هـ) انتقل القسم إلى مقره الحالي، وهو عبارة عن مبنى مسلحاً مكون من وحدتين سكنيتين، بهما ملاحق مشغولة بالتوقيف والمسجد والمستودعات وخدمات أخرى مقابل أجرة سنوية قدرها (١٢٠,٠٠٠ريال) مائة وعشرون ألف ريال[٤]. ومنذ التعديل الإداري الذي شمل مناطق ومحافظات المملكة عام (١٤١٥هـ/١٩٩٥م)، أصبح القسم يرتبط مباشرة إدارياً ومالياً بإدارة مكافحة المخدرات بمحافظة جدة[٥]. وتعاقب على إدارة هذا القسم أربعة مديرين هم: الرائد سعود عبد العزيز الذيابي (١٤٠٧-١٤١١هـ/٨٧-١٩٩٠م) والمقدم عبد الله علي الشيخي (١٤١١-١٤١٩هـ/ ٩١-١٩٩٨م)، وأحمد عمر الزهراني (١٤١٩هـ/١٩٩٩م)، وعبد الله إبراهيم الدوسري (١٩-١٤٢٤هـ/٩٩-٢٠٠٤م)[٦].

---

(١) مذكرة من مدير المرور عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٤م) صالح الجعيد، الأصل والصورة ضمن أوراق مكتبة الباحث، القنفذة تاريخ وتطور، ٢٠.

(٢) مذكرة صالح الجعيد. انظر: ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ٣٨٢.

(٣) مذكرة الدوسري، الأصل والصورة ضمن أوراق مكتبة الباحث.

(٤) المصدر نفسه، انظر أيضاً: ابن جريس، القول المكتوب، ج٢، ٣٨٠.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) المصدر نفسه.

١٩. إدارات أخرى :

مــازال هناك العديد مــن الإدارات، ومنها مــا يتعلق بالتعليــم، والزراعة والبنوك الحكوميــة والتجارية . وإدارات أخــرى عرفتها منطقة القنفذة منذ عقود عديدة، وكان لهــا دور جيــد في تطوير سبــل العيش عند ســكان القنفذة، ومن أهمهــا إدارتا الضمان الاجتماعي، ومكتب العمل والعمال .

تلقينا مذكرة من الأستاذ حمزة بن عبده القرني، مدير مكتب الضمان الاجتماعي بمحافظــة القنفــذة، بتاريــخ (١٤٢٤/٥/٢هــ)[1] يذكر فيهــا تأسيس مكتــب الضمان الاجتماعــي بالقنفذة في عام (١٣٨٥هــ/١٩٦٥م)، وتشمل خدماته آنذاك سكان بلدة القنفــذة ومــا حولها، بالإضافــة إلى مناطق الــبرك [2]. وحلي، والليــث [3]، والعرضية الشماليــة[4]. وتعاقــب علــى إدارتــه ثمانيــة مديريــن هــم : محمد بن يحيــى حجازي (١٣٨٦-٨٥هــ/٦٥-١٩٩٦م)، وتركــي معيقــل العتيبــي (١٣٩٠ـ٨٦هــ/ ١٩٩٢ـ٨٨م)، وصالــح زيد العميم (١٣٩٠– ١٤٠٧هـ)، وعلي بن رجب عجلان (١٤٠٧ـ١٤٠٨هـ/٨٧ – ١٩٨٨م) وحســين بن حمد الربعــي (١٤٠٨ – ١٤١٢ هـ/ ٨٨ –١٩٩٢م)، وعدنان محمد البهلول (١٤١٢ – ١٤١٣ هـ / ٩٢ – ١٩٩٣ م) ومرعي بن محمد الحازمي (١٤١٣–١٤١٨ هـ / ٩٣ – ١٩٩٨ م)، وعوضة بن أحمد الزهراني (١٤١٨ – ١٤٢٠هـ/٩٨–٢٠٠٠م) [5]. ويخــدم المكتب ثمانية مراكز بالمحافظة هي : أحد بنــي زيد، والقوز، والمظيلف، ودوقة، وحرب وبني عيسى، وثلاثاء الخرم، وحلي، وكنانة [6] .

---

(١) أصــل وصــورة المذكرة ضمن أوراق مكتبــة الباحث، انظر: ابــن جريس، القول المكتــوب في تاريخ الجنوب، ج٢، ٣٧٥ .

(٢) أصبحت بلاد البرك فيما بعد تتبع مكتب الضمان الاجتماعي ببلدة محايل التابعة لمنطقة عسير .

(٣) أنشــئ مؤخراً مكتب ضمان اجتماعي في الليث، وأصبح مكتب ضمان القنفذة يخدم أهالي بلاد القنفذة ما عدا العرضيتين.

(٤) افتتحــت وزارة العمــل والشــؤون الاجتماعيــة مكتــب ضمــان اجتماعــي في العرضيــة الجنوبيــة عــام (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م) ،وشملــت خدماتــه ســكان العرضيتــين وتعاقــب علــى إدارتــه منــذ النشــأة حتى عام (١٤٢٠هــ/ ١٩٩٩م) ثلاثــة مديرين هم : حسن جاري المنتشــري (١٣٩٨ـ ١٤١٠هـ/١٩٧٨ـ١٩٨٩م)، وعلي غــرم الله الغامدي (١٤١٠ـ١٤١٨هــ/٩٠ـ١٩٩٧م) وهزاع جراد الغامــدي (١٤١٨ـ١٤٢٠هـ/ ٩٨ـ٢٠٠٠م) . مذكرة الإدارات الحكومية .

(٥) مذكرة حمزة عبده القرني، عبد اللطيف، ١٦٠ .

(٦) المصدر نفسه، انظر: ابن جريس، القول، ج٢، ٣٧٥ ـ ٣٧٦ .

وأول ميزانيـة صرفـت لهـذا المكتـب عـام (٨٦-١٣٨٧هــ/٦٦-١٩٦٧م) بلغـت (١٥,٢٤٠,٧٧٥) ريـالاً وميزانيـة عـام (٢٢-١٤٢٣هــ/٢٠٠١-٢٠٠٢م)، كان مقدارهـا (٥٧,٢٤٩,٨٦٧) ريـالاً[1] وأقسـام وأعـداد موظفـي المكتب اليـوم في عام (١٤٢٤هـ/٢٠٠٣م) هي : مدير المكتب، ووحدة المستفيدين وتشمل : رئيس القسم ومعه موظفـان، وقسم الطلبات ويوجد بـه موظفان . بالإضافة إلى وحدات الأرشيف، وشؤون البحث، والشؤون المالية والإدارية، وهناك أيضاً تسعة موظفين آخرين[2].

أنشئ مكتب العمل والعمال عام (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)[3]، وتوالى على إدارته حتى عام (١٤١٨هـ/١٩٩٨م) ستة مديرين هم : عبد العزيز هاشم فريد (١٤٠٤-١٤٠٥هـ/٨٤-١٩٨٥م)، وعلـي أحمـد المـوري (١٤٠٥-١٤٠٩هــ/ ٨٥-١٩٨٩م)، وعبـد الله محمـد المبرد (١٤٠٩-١٤١٠هــ/٨٩ -١٩٩٠م)، وسعود محمد البريك (١٤١٠-١٤١٥هـ/٩٠-١٩٩٥م)، وعبـد الرحمن حسن الغامـدي (١٤١٥-١٤١٧هــ/ ٩٥ -١٩٩٧م)، وهميش عبد الله الغامدي (١٤١٧-١٤١٨هـ/٩٧-١٩٩٨م)[4] .

---

(١) المصدر نفسه، للمزيد انظر: عبد اللطيف، ١٦٠ .

(٢) المصدر نفسه .

(٣) بسبـب كـثرة النشاطات التجارية والصناعية والاجتماعية في القنفذة صـار يفد إليها العديد من الوافدين للعمـل في هـذه المجالات، لهذا أصبح إنشاء مكتب للعمل والعمال أمـراً ضرورياً كي يتابع كل ما يتعلق بأمور العمل والعمالة الوافدة إلى المحافظة .

(٤) القنفذة تاريخ وتطور، ٥٧، مذكرة الإدارات الحكومية .